الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات

N° :.....
الرقم:.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــر
(تخصص تحليل الخطاب)

الأفعال الكلامية في مسرحية "أهل الكهف" لتوفيق الحكيم
-دراسة تداولية-

مقدمة من طرف:
منى بن عبدة

تاريخ المناقشة : جوان 2014

نبيل أهقيلي رئيس ا أستاذ مساعد - أ -
الجامعة قالمة
نادية موات مقرر ا أستاذ مساعد – أ -
الجامعة قالمة **وردة حلاسي** ممتحنا
أستاذ مساعد – أ - الجامعة قالمة

السنة: 2014

تشكرات

قال الله تعالى: " ولئن شكرتم لأزيدنكم " صدق الله العظيم

فالحمد لله أولا و أخيرا

فالشكر لله الذي أتم نعمته عليا وقدرني على انجاز هذا العمل المتواضع ووفقني و أحسن ختام مجهودي فسبحانه .

علمتني الحياة أن اشكر كل من أسرى إلي معروفا ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله

نتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى كل من قدم لي العون

إلى الأستاذة القديرة المشرفة "موات نادية"لكي مني الشكر والعرفان

إلى أساتذة اللغة العربية وآدابها و أتقدم بالشكر الكبير إلى الدكتورة "وردة معلم" والى الأستاذة "روابحية حدة"

و "بوشحدان أمال" والى رئيس القسم الذي اعتبرنا مثل أبنائه وجهد في سبيل إرضائنا الدكتور" عمیار العياشي"

إلى من كانت له يد العون في كتابة هذه المذكرة الأخ "فرج الله مقران" إلى الذين توكلوا وإلى الله حق التوكل إلى كل أستاذ عمل بضمير لإيصال رسالته إلي أساتذتنا الكرام الذين سقونا من بحر العلم ولم يبخلوا علينا طوال مشوارنا الدراسي.

vb.3dlat

إهـــــداء

الحمد لله الذي خلق الإنسان فكرمه

و أنار دربه بسراج نور علمه فلك الحمد يا رب حتى ترضى و لك الحمد إذا رضيت و لك بعد الحد وبعد الرضا
إلى من عجز قلبي وعقلي أن تقبل حياتي بدونهما والدي العزيزان إلى الذي قال الله تعالى فيهما "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه بالوالدين إحسانا."
أبي و أمي

اهدي ثمرة هذا العمل إلى الذي ذاق المر في سبيل إيصالي إلى المراتب العليا إلى سبيل العطاء الذي لم يبخل علي يوما إلى الذي تعرق جبينه في سبيل أن يضيء دربي،إلى مصدر اعتزازي وفخري إلى الذي بكت أنامله بدون صوت والذي وقف في وجه مكائد الدنيا لأكون أنا في المراتب العليا، إلى النجم الساطع في سمائي و القنديل الأروع من ألف شمس ،إلى من ينظر إلى نجاحي بفارق الصبر وينتظر هذا اليوم إلى اعز و أغلى أب في الوجود "نور الدين" حماك الله و أطال في عمرك وجعلك تاج فوق راسي.
إلى من هي الأمان إلى من هي الحنان إلى من تحت قدميها ينبوع الحنان إلى من حملتني وهنا على وهن و أثارت قلبي ،وكتبت اسمي حرقات عيونها إلى التي قاسمتني أفراحي أمالي إلى التي بذلت جهدها لإرضائي إلى من سهرت على تعليمي وتربيتي ومنحتني لاجتاز جسور الحياة لأمضي قدما نحو الأمام إلى من أنارت وجودي بحنانها و أرضعتني طيبة قلبها وجعلتني شمعة بيتها ودنياها إلى أحلى كوكبة أمي "بديع" حماك الله و أطال عمرك.
إلى أحلى واعز إنسان على قلبي الذي عاش معي قساوة الحياة ومرها وقاسمها معي وجعلني أحلى إنسانة على قلبه الذي هو منبع الحنان والطيبة "أخي الغالي البعيد عني والقريب من قلبي محمد"

إلى مدلل البيت ومصدر المشاغبة ونور البيت "فريد"
إلى خالي العزيز الذي يتمنى لي النجاح والتوفيق في حياتي "عز الدين" و"زوجته وحيدة" التي هي مصدر سعادتي ومن ابتسامتها نستنشق الحنان والى جدتي التي بدعائها أنا في مركز النجاح إلى أخي "خالد" و"حكيم" والحبوب "أنور".
إلى الكتاكيت الصغار" لجين"التي أتمنى لها الشفاء العاجل و"إيناس"و"آلاء"" وسجود"
إلى أختي الصغيرة "سلوى" التي أتمنى لها النجاح والتوفيق والسعادة الدائمة والى صديقاتها "صبرينة،إيمان"
إلى العزيزة على قلبي ابنة عمي "وردة "التي هي وردة البيت التي نستنشق منها العطر بابتسامتها.
إلى كل العائلة من كبيرها إلى صغيرها

إلى صديقة دربي الذي شاركتني مشوار دراستي وفرحة لفرحي وحزنت لي حزني "سارة".
إلى صديقات دربي في الجامعة "نادية، حنان، إيمان، ابتسام، لبنى"

إلى من يحمله قلبي بحبه ولم يذكره لساني

خطـــــة البحـــــث:

مقدمـــــة

الفصـل الأول: تحـديد الجهاز الاصـطلاحي

- تعريف التداولية.
- مراحل التداولية.
- أهمية الدراسة التداولية.
- البعد التداولي في الخطاب المسرحي.
- إشكالات تداولية المسرح.
- مقاربات تداولية المسرح.
- المسرح و التواصل.

الفصـل الثـاني: الأفعـال التداوليـة في مسرحية أهل الكـهف

- الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.
- الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي.
- الأفعال الكلامية بعد " أوستين "و " سيرل".
- الأفعال الكلامية في مسرحية أهل الكهف.

خاتمـــة

ملحـــق

ملخـص

قائمـة المصـادر و المـراجع

الفهـرس

الفهرس

1- مقدمـــة:.....(أ،د)

2- الفصل الأول: تحديد الجهاز الإصطلاحي.....1

تعريف التداولية:.....1-4

مراحل التداولية:.....5-6

أهمية الدراسة التداولية:.....6

البعد التداولي للخطاب المسرحي من خلال أفعال الكلام:.....7

الأفعال الكلامية الجامعة:.....7-9

فعل الإعتذار:.....9-10

التفاعل الكلامي و الافعال الكلامية:.....10-11

شروط النجاح:.....11

إشكالات تداولية المسرح:.....12-13

مقاربات تداولية المسرح:.....13

خصوصية أفعال اللغة في المسرح:.....13-15

خصوصية الجهاز التلفظي في الحوار المسرحي:.....16-17

الإشتغال الدلالي التداولي للحوار المسرحي:.....17-18

التلفظ المسرحي و القراءة المضاعفة:.....18-19

المسرح و التواصل:.....19-21

3- الفصل الثاني: الأفعال الكلامية في مسرحية أهل الكهف.....23

الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:.....23-24
التمييز بين الأسلوب الخبري و الإنشائي و آراء بعض العلماء العرب في ذلك.....24-27
الخبر:.....27-29
أقسام الخبر:.....29-31
الإنشاء:.....31-32
أقسام الإنشاء:.....32-33
الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي:.....33-34
فكرة الافعال الكلامية حسب النموذج الأوستيني:.....34-40
الأفعال الكلامية في أبحاث جون سيرل:.....40
مرحلة الفعل الكلامي المباشر:.....41-45
مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر:.....45-50
أفعال الكلام بعد أوستين و سيرل:.....50-51
الأفعال الكلامية في مسرحية اهل الكهف:.....52
النداء:.....52-54
الأمر:.....54-56
النهي:.....56-58
الاستفهام:.....58-63
التمني:.....63-65
4- خاتمـــة:.....68-69

5- ملحق:.....77-70

6- ملخص:.....82-80

7- قائمة المصادر و المراجع:.....86-83

8- الفهرس

مقدمـــــة:

تتنوع مجالات الحياة و تتنوع تبعا لذلك الخطابات،و كل مجال له خطابه الخاص و في ميدان الأدب وحده نواجه عددا كبيرا منها، فلدينا الخطاب السردي، الخطاب الشعري، و الخطاب الأدبي الشعبي، و تحت كل نوع منها نجد أنواع متفرعة عنها، فنجد من هذه الفروع الخطاب المسرحي الذي عرفه الأدب العربي كغيره من الآداب العالمية الذي تناول فن المسرح، و ذلك بتوفره على جملة من العوامل و الأسباب التي مهدت لاكتشافه و ظهوره، و إقبال الأدباء العرب على هذا الفن، حيث لاقى رواجا كبيرا بعد مضي وقت من الزمن و ذلك من خلال إتقانهم الفن و الكتابة و التأليف، و الوقوف على الحقيقة فجادت أقلامهم بمسرحيات لقيت شهرة و انتشارا واسعا لأنه أصبح يحمل خصائص و جماليات ارتقت به إلى أن صار يضاهي المسرحيات الغربية فنية و إبداعا.

و لقد درس المسرح بمناهج مختلفة منها المنهج التاريخي و اللساني و السيميائي الذي كانت له طواعية في تحليل الخطاب المسرحي و انتقل الاهتمام إلى الدراسة التداولية التي أثبتت نجاعتها، خاصة و أنها تنظر إلى الأطراف الثلاث من العملية التواصلية (الكاتب، النص، الجمهور) ...

و تعد نظرية "الأفعال الكلامية" أهم نظرية في اللسانيات التداولية، حيث أن دراسة هذه الأفعال و ما يفعله المتكلمون باللغة من تأثير و تبليغ و إنجاز أفعال تعد من أهم مجالات الدراسات التداولية، و ذلك بوصفها بنية صغرى يتعين تحليلها و الوقوف على طبيعتها قبل الانتقال إلى البنية الكبرى التي تتمثل في مختلف أنواع التبادل الكلامي في مجتمع من المجتمعات.

و أهم ما سأركز عليه في هذه الدراسة هو إسقاط هذه الأفعال الكلامية على الخطاب المسرحي، و قد اخترت " مسرحية أهل الكهف" لكثرة أساليب الحوار فيها و تنوعها و اختلافها ما بين الأساليب الخبرية و الأساليب الإنشائية بوصفها تمثل مجالا ثريا يتناسب و الدراسة التي سأجريها معتمدة على استقراء هذه الأفعال و وصفها و تحليلها ثم إبراز مدى تأثيرها في الخطاب و دورها في عملية التواصل و الإبلاغ.

في هذا المنحى يندرج موضوعي على نحو ما هو مجسد في العنوان التالي:"الأفعال الكلامية في الخطاب المسرحي"(مسرحية أهل الكهف) و في هذا البحث سأحاول الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تضفي بعضا من الغموض على الموضوع مثل: ما حقيقة الأفعال الكلامية ؟ و كيف تسهم في عملية التواصل؟

⟸ كيف يتحقق الفعل بالقول؟

⟸ كيف نتكلم بشيء بينما نحن نريد شيئا آخر؟

⟸ كيف نتجنب الإبهام و الغموض في عملية التواصل؟

و الهدف من هذا البحث متمثل في كيفية تطبيق المنهج التداولي على الخطاب المسرحي رغم انه ليس متناولا في الدراسات التطبيقية و السبب في اختياري لهذا الموضوع يرجع إلى أسباب ذاتية و أخرى موضوعية.
الأسباب الذاتية:

- حسب الموضوع و الرغبة في إثرائه، لاسيما و أن المسرح حقل بكر في الجزائر لم يوف حقه من العناية و الدراسة.

- تعلقي بتوفيق الحكيم و مسرحية أهل الكهف التي مزج فيها بين الفكر و الدين الإسلامي.

- رغبتي في التعمق أكثر في المنهج التداولي، و طموحي للاستفادة من توفر أبحاث فيه، و رغبتي في تطبيقه على مسرحية أهل الكهف.

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في:

- إثراء المكتبة الجامعية ببحث متواضع يمكن أن يفتح آفاق البحث و الدراسة أمام زملائي الطلبة.

- استثمار المناهج الغربية في دراسة نص عربي درس من العديد من الجوانب، و ظل الجانب التداولي شاغرا.

و قد اعتمدت المنهج التداولي حيث أنه المنهج المناسب لهذه الدراسة العلمية. رغم أن توفيق درس من جوانب مختلفة و ذلك من خلال فنه و مسرحياته و كتبه و درس كذلك من الجانب الفكري، و رغم ذلك أنه لم يدرس توفيق الحكيم بمسرحياته على المنهج التداولي، و لطبيعة الموضوع جئنا بالخطة المنهجية كالتالي:

* تناولت في الفصل الأول: مفهوم التداولية في مفهومها العام ثم بينت أهميتها و مراحلها الثلاثة التي قامت عليها التداولية، ثم اهتميت بعلاقة التداولية بالمسرح، ثم طرحت الإشكالات الثلاث للتداولية في المسرح ثم قمت بعد ذلك بتناول مقاربات تداولية المسرح التي قامت بها كل مدرسة، ثم توصلت إلى أن المسرح و التواصل هما العملية التبليغية في الإقناع و التواصل.

* أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه: الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ضمن ظاهرة الخبر و الإنشاء، ثم تناولت الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي عند "أوستين" و "سيرل" ثم ذكرت الأفعال الكلامية بعد "سيرل" و "أوستين" ثم قمت بعملية تطبيقية على هذه الأفعال و ذلك من خلال مسرحية " أهل الكهف" التي كانت تدور حول قصة الفتية الذين استيقظوا بعد مرور ثلاثمائة عام، و أخيرا ذيلت البحث بخاتمة ضمنتها نتائج الدراسة المحصل عليها.

ولم تكن دراستي لتكتمل و تنتج ثمارها لولا الاعتماد على بعض المصادر منها: مسرحية" أهل الكهف" ، محمود أحمد نحلة (أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر)، مسعود صحراوي(التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، بالإضافة إلى مراجع أجنبية.

و قد واجهتني بعض الصعوبات أثناء البحث من بينها ضيق الوقت قلة الدراسات التطبيقية في مجال اللسانيات التداولية، و قلة المراجع في جامعتنا، و لكن ما جعلني أقف في وجه هذه الظروف و غيرها و أتحدى كل ما يمكنه أن يعيق هذا البحث هو حبي و لهفتي للبحث و التنقيب و استكشاف و استطلاع كل ما يصب في مجال اللسانيات التداولية.

في الأخير أرجو من الله عز و جل أن أكون قد وفقت فيما سعيت إليه خلال بحثي المتواضع و أن تكون دراستي حافزا لدراسات أخرى، و أتمنى من الله التوفيق

حيث أنني خضت هذه التجربة بجد و صبر فإن أخطأت فمني و إن أصبت فبتوفيق من الله.

و تجدر الإشارة إلى أن ما توصلت إليه في هذا البحث كان نتيجة توجيهات صارمة من الأستاذة المشرفة " نادية موات" التي تولت مهمة الإشراف على هذا العمل منذ كان فكرة إلى ما وصل عليه اليوم، فإليها أتقدم بالشكر الخالص فقد كان لملاحظتها الدقيقة وتشجيعها المستمر وروحها الطيبة و المرحة دور كبير فعال في إخراج هذا العمل من الظلمات إلى النور.

1- تعريف التداولية:

تعرف التداولية أو كما يسميها بعض الدارسين بالبرغماتية بإعتبارها فرعا لسانيا يعنى بدراسة المعنى والاستعمال اللغوي، بالنظر إلى المتكلم، والمتلقي، وعوامل أخرى تتعلق بسياق الكلام.

و تعد مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية التي تطورت خلال فترة السبعينيات من القرن العشرين وهي تدرس عملية التواصل بين أفراد المجتمع وإنتاجهم لأفعال تواصلية في مواقف كلامية محددة .[1]

وقد ظهر مصطلح التداولية الذي يعرف في الغرب (Pragmatique)أول مرة سنة 1938 عل يد الفيلسوف الأمريكي شارل وليام موريس (Charles William Morris)في مقال كتب في موسوعة علمية يحدد فيها مختلف الطرائق التي تعالج اللغة، وهي علم التركيب المتمثل في علم النحو الذي يتوقف عند دراسة العلاقة بين الوحدات اللغوية، وعلم الدلالة الذي يعالج الدلالة اللغوية، ثم التداولية التي تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة و مستعمليها، وأتت التداولية لتعنى بالتحليل العلاقة بين النص ومستعملي اللغة أي الجانب التواصلي، لأن هذا الجانب مستبعدا من قبل اللسانيين الذين ركزوا في دراستهم على علم التراكيب وعلم الدلالة،" فاللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في

1- مقبول إدريس، التداولية عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، 2004، ع3، ص245.

علمي النحو والمعاني، بل إن الاتصال يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة".[1]

ومن المهمات الأساسية للتداولية هي إبراز النشاط التفاعلي للغة، وبالأخص التفاعل في العلمية التواصلية، ولكن هناك شروطا يجب أن تتوفر لكي يتحقق هذا التفاعل و هذه الشروط هي شروط إدراكية و اجتماعية، كما يجب أن يتحدد الحديث بحدود زمانية ومكانية محددة أيضا لتحقق هذا التفاعل.

وتكمن وظيفة التداولية كما ترى أوركيوني" في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل ،المتلقي، و الوضعية التبليغية، إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة".[2]

جاءت التداولية لتجيب عن مجموعة من الإشكاليات التي تمثل موضوعا لها مثل: ماذا تصنع حين تتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ من يتكلم إذن ؟ و إلى من يتكلم؟ ولأجل من ؟ وماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء ونريد أخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما ؟ [3] هذه جملة من الأسئلة التي حاولت فرانسواز أرمينيكو

1– الرويلي ميجان والبازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3،2002،ص169

2- فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بجيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص114

3-أرمينيكو فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانتماء العرقي، الرباط، ط1، 1986، ص7

(Françoise Armingoud) الإجابة عنها في كتابها المراقبة التداولية. حيث تقول أن التداولية "هي درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة، وهي تقع كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية".[1] حيث أن تشارلز موريس عدها جزءا من السيميانية و أحد مكوناتها تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات، وبين مستعمليها أو مفسريها (متكلم، سامع) وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات، كان ذلك حينما شرح أبعاد السيميانية الثلاث.

- علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها، وذلك بعد دلالي يهتم به علم الدلالة.
- علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالملتقي، وبالظواهر النفسية والحياتية و الاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات.
- علاقة العلامات فيما بينها وذلك بعد تركيبي يهتم به علم التراكيب.

واعتبر أوستن وسيرل أن اللغة العادية هي نواة لتأسيس التداولية ويحدد مصدرها في التفكير الأنجلوساكسوني انطلاقا من إشكالية أفعال الكلام التي طورت التفكير في آليات معالجة اللغة.

والتداولية في موضوعها هي توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي.[2] و يقدم "د.مسعود صحراوي" تعريفا إجرائيا لتداولية، إذ يربطها بالتواصل على نحو يجعلها شديدة الالتصاق، فهو

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع،الجزائر،ط1، 2008، ص69

يحددها بأنها: " إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، و التعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، و تصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي "[1].

وقد تعددت تعريفات المحدثين منهم العرب و الغرب للتداولية، و اختلف بعضها مع بعض لدرجة التناقض و التضاد أحيانا. و قد قدم" د. محمود أحمد نحلة" بعض هذه التعريفات، موضحا ما يؤخذ على كل تعريف، مستخلصا تعريفا جامعا مانعا، متجنبا فيه بقدر الإمكان ما أخذ على التعريفات الأخرى، فيقول: "من هنا أوجز تعريف للتداولية و أقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، و لا يرتبط بالمتكلم وحده، و لا السامع وحده، فضاعت المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما، فإذا قال شخص ما :"أنا عطشان" فقد يكون المراد (احضر لي كوبا من الماء) وليس المراد إخبار المتكلم السامع بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، و من ثم كانت التداولية تبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم.[2]

1 – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2005، ص16،17

2- محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية،2006، ص12،13،14

2- مراحل التداولية:

اهتمت التداولية في ذاتيتها بثلاث درجات منها:

أ- تداولية الدرجة الأولى:

اهتمت في دراستها بالرموز التعبيرية، المبهمة ضمن استعمالها، و تعتمد في دراستها على السياق الوجودي، المتمثل في المخاطبين و كذلك معطيات الزمان و المكان.

ب- تداولية الدرجة الثانية:

تمثلت دراستها في مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه، أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلم من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك، و مدى نجاحه أو إخفاقه و سياقها في هذه الحال يكون أوسع، حيث يمتد من الموجودات إلى نفسية المتخاطبين و حدسهم و الاعتقادات المشتركة بينهم. و تهتم خلال ذلك بقضايا مختلفة نحو شروط التواصل، التمييز بين المعنى الحرفي و المعنى السياقي و كذلك بين المعنى الحرفي و المعنى الموضوعي. و من هنا يندرج مبدأ التعاون الذي تحدث عنه " جرايس".

ج- تداولية الدرجة الثالثة:

تتمثل دراستها في نظرية أفعال الكلام، و ذلك ما قدمه "أوستين" في بحثه و طوره تلميذه سيرل بعده و لا يتحدد الفعل الكلامي إلا من خلال السياق الذي يتكفل

بتحديد جدية التلفظ أو الدعابة أو إنجاز فعل معين، و لقد أسهم تطورها في نشاط بحث الملفوظية، لأنها نشأت في حضنها مما ساعد أيضا في تقدم الدرس الدلالي، الذي أصبح هو الآخر محكوما بتيار سوسير وبتيار أوستين، شأنه في ذلك شأن اللسانيات عموما.[1]

أهمية الدراسة التداولية:

أتت التداولية لتساوي بين لسانيات اللغة و لسانيات الكلام، و اهتمت بالخطاب لكونه إنتاجا لغويا ينظر إليه في علاقاته بظروفه المقامية و السياقية، و اهتمت أيضا بالوظيفة التواصلية التي تؤديها في هذه الظروف، فقد أولت التداولية لأقطاب العملية التواصلية أهمية كبيرة في عملية التواصل، و أيضا منحت للظروف السياقية أهمية بوصفها عناصر مساعدة في تأدية هذه المقاصد، كما عولت كثيرا على استغلال المتكلم للظروف السياقية في سبيل الوصول إلى المعنى الذي قصده المتكلم.

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 69.

البعد التداولي للخطاب المسرحي من خلال أفعال الكلام:

تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين النظريات التداولية التي كان لهل صدى كبيرا في مجال الدراسات اللسانية بالخصوص، و قد أسسها الفيلسوف الانجليزي "أوستين" Austin الذي يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات و التعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية.

و انطلق أوستين في تأسيس هذه النظرية من انتقاده للرأي القائل أن اللغة تهدف بالخصوص إلى وصف الواقع، و أن وصف شيء معين لا يمكن له أن يخرج عن إطار الخطأ أو الصواب.

و يؤكد أن هناك بعضا من الجمل لا مكننا الحكم عليها بالصدق أو الكذب، و لا تصف الحالة الراهنة أو السابق وإنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها كجمل: الاستفهام، و التعجب و الأمر و النهي...الخ.

الأفعال الكلامية الجامعة:

هذا المفهوم مرتبط بالنصوص، لأن الأفعال الكلامية في دراستها للنصوص الأدبية و المسرحية لا تكتفي بأفعال الكلام الوعد و الشكر... إنما تتجاوز هذا المستوى إلى مستوى دلالي أعلى و هي أفعال ذات قيمة كلامية شاملة و النص مهما كان طوله فهو يؤدي فعلا كلاميا واحدا. و نجد هذه الأفعال في المقاطع التي تشير إلى مناسبات دينية أو عرفية مثل التأبين أو المدح أو الشكر أو التعميد... أو أن تكون أفعال كلامية عادية.

و هذه الأفعال الكلامية قد نجدها في مقطع النهي بكثرة و لكنه لا يؤدي لفعل كلامي أشمل. هذه الأفعال قد نجدها في خطابات العشاق و المحبين.

بريسكا: بل حقيقة... حقيقة خالدة يا مشلينا، أنا بريسكا ليس يهمني بعد أن أكون إياها أو لا أكون، بل من يدري لعلي هي، إن الشبه بيننا ليس مصادفة و مقابلتنا ليست مصادفة كذلك... مقابلتنا في هذا الجبل... إنك بعثت لي، و أنا بعثت لك بعثنا من آخر، قم و أحيا و عش...

هذا تعبر عن الحب الذي تكنه "بريسكا" لـ "مشلينيا" و لكنها لم تأب التعبير عنه بكلمة واحدة، بل فضلت استعمال أسلوب آخر مليء بأفعال التصريح و الإثبات.

و قد فهم "مشلينيا" ما قصدته "بريسكا" بذلك ! فجاءت إجابته مناسبة.

مشلينيا: يا للسعادة.

ثم يقول: نعم... لست أريد... لست أريد الموت... رباه أنقذني... ها هي ذي السعادة ها... قد قهرنا... الزمن[1]... القلب قصر (تخونه قواه) فيكونا هكذا قد فهما الفعل الكلامي الجامع أو الغرض دون أن يصرحا بذلك و يتجلى شكر "مرنوش" لـ "مشلينيا" على الخدمات التي قدمها له في المقطع التالي:

مرنوش: نعم إني لست مثلك يسهل محو كل شيء طيب من ذاكرتي إني لا أستطيع أن أنسى يا مشلينا أنك الوحيد الذي عاونني في زواجي الخفي، و لازمني في كل ظروفي الحرجة التي مر بها تأسيس هذه الأسرة الخفية إني لا أستطيع أن أنسى أنك منت تفرش معي المنزل، و تحمل إلينا على ذراعيك ليلا الخضر و الفاكهة إذ كنا لا نأتمن خادما و لا عبدا على سرنا. و لا أنسى يوم ولد ابني أنك حجلت تحوك أثوابه الصغيرة، و قلانسه بيدك قبل نزوله إلى هذا العالم أجل لولاك ما كنت أستطيع أن...

نجد في النص بأكمله أنه يحمل ذلك النص دلالة الكر أو التعزية أو التأبين أو التهنئة... دون أن يحمل ذلك النص أفعالا صريحة تدل على الشكر أو التعزية أو التهنئة... حيث أنه قد يحمل

1- توفيق الحكيم،أهل الكهف، دار مصر للطباعة، ص 175

أفعالا أخرى، و هنا راعي المتكلم حال الخطاب، لتصل إلى المتكلم بالشكل الملائم، و هنا يستطيع المتلقي أو يؤوله كما أراد المتكلم، وهذه الحالات نجدها في المناسبات العائلية، أو المناسبات الرسمية التي تسعى فيها شخصية ما إلى التأثير في الجمهور، باستعمالها لعدد من الأفعال الكلامية المباشرة التي تأخذ صيغة اللامباشرة، و بنفس الطريقة يستطيع الأديب أن يستعمل الأسلوب المجازي من استعارة و تشبيه و كناية، ليجعل كلامه أكثر تأثيرا مما هو عليه، إذ صيغ بأسلوب صريح.[1]

فعل الاعتـذار:

نجد هذا الفعل عند العرب القديم في تصنيفهم لأفعال الكلام ضمن أفعال الطلب، أما عند"سيرل" فهو ينتمي إلى الأفعال الكلامية، و قبل التوسع في أسس التداولية لهذا الفعل يجب أن نفرق بين الاعتذار والاستغفار، رغم كونهما يحملان دلالة طلب الصفح، إن الاستغفار هو ذو طبيعة دينية و بالتالي ضمن وجهة نظر التداوليين يختلف تماما عن الاعتذار، و يتجلى هذا الاختلاف في أن الطالب للاستغفار لا ينتظر إجابة (كلامية) على قبول استغفاره أو عدم قبوله، إن المتلقي الثاني في هذا الإطار هو ذو طبيعة غيبية أما الغفران فهو من شأن العلي القدير وحده،أما إذا استعملت هذه الكلمة للدلالة على شيء أخر غير الإله، فإن الاستعمال مجازي ويراد منه الاعتذار و السياق هو الذي يحمل المتكلم على استعمال الكلمة بذلك المعنى.

و الاعتبار يرتبط مباشرة بعلاقة الشخص المعتذر بالشخص الذي وقع عليه الضرر، و المتضرر له أن يقبل أو يرفض الاعتذار هذا من جهة و من جهة أخرى تتحكم في الاعتذار قواعد ترتبط بمراتب المتكلمين و سياق الحديث و تجدر الإشارة إلى أن هذه القواعد تختلف نسبيا عن تلك التي للأمر، و الاعتذار سيكون إما اختياريا أو إجباريا.

الاختياري لا يرتبط بمؤسسة، فهو يتحقق بكلمة أو بصيغة التلفظ أو لفظه، و الاعتذار هنا يتم عن طريق سلوك اجتماعي خاص، و الإجباري هو الذي يتوفر على الإلزامية.

1 – -عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف،الجزائر،ط 1، 2003، ص187

و الملاحظ من كلا النوعين في الاعتذار (الاختياري أو الإجباري) أن الشخص يلجأ إلى استخدام الأسلوب المباشر للدلالة على الاعتذار، كأن يدخل شخص إلى مكان عمله متأخرا فيقول:" تأخرت الحافلة بسبب الازدحام"، في هذا الحال تحقق فعل الاعتذار بطريقة ضمنية و حجاجية، فقد جاء الاعتذار مصوغا على الأسلوب التالي: اعتذر على هذا التأخير لأن الطرقات في هذه الساعة مكتظة و مزدحمة، و الحافلة التي جئت فيها عرقلها هذا الازدحام، و وصلت بالتالي متأخرة.[1]

التفاعل الكلامي و الأفعـال الكلامـية:

إن اللغة ليست وسلة للتعبير عن الأفكار و توصيل المعلومات بل هي نشاط يتسبب في تحويل الوضعيات بجعل الآخر يعترف بالنوايا(التداولية) للمتكلم، و بما أن الحديث هو عملية مؤسسة على مشاركة أطراف الخطاب فإن الأساس فيه هو المتكلم و المستمع.

إن هذا التصور مني على التصور القائل بأن اللغة هي مؤسسة تتحكم في ثباتها استمرارية التبادلات الكلامية. انطلاقا من ذلك تلعب الأفعال الكلامية دور تحويل معتقدات المتخاطبين من جهة، و استمرارية الخطاب بين أطراف من جهة أخرى. إن أقوال المتكلم تبنى على ما قاله المخاطب، فلا توجد هناك أفعال قوال، كل قول سابق، و للافتراضات و التأويلات التي يحويها:

مشلينيا: (يعود إلى القعود في قنوط) يا إلهي ماذا أستطيع لك إذن؟

يمليخا: دع الأمر للمسيح.

مشلينيا: ليت المسيح يعلم بما يوقر ضميري.

مليخا: أو تشك في أنه يعلم؟ استغفر الله، أعتقد أنه يعلم و أنه سيخفف عنك.

1- ينظر، عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص190، 191، 192.

مشلينيا: متى؟[1]

بدأ الحديث بينهما بالشكوى، فتطور إلى استفهامات و تقريرات... كان مشلينيا يعتمد على ما جاء في حديث يمليخا ليضمن استمرارية ما يقول، و الغرض من كل هذا هو أن يبعد القلق من مشلينيا و يروح عنه.

في مثل هذه السياقات يعتمد المتخاطبون إلى مجموعة من الحيل و الاستراتيجيات يعتبرها البعض ثانوية، و يرى فيها البعض الآخر الأساس في تحقيق الفاعل الكلامي و ضمان استمرارية الخطاب، و عدم انفصال الطرف الآخر في المشاركة فيه.

إن المتكلم ينطلق من كلمة أو عبارة أو فكرة احتواها كلام الآخر لصيانة كلامه بطريقة يعمل فيها على توجيه الخطاب مع ترك المخاطب في وضع يعتقد فيه أنه لم يخرج عن موضع الحديث و التفاعلية تتوقف على مدى إدراك المتخاطبين للأرضية المشتركة.

شروط النجاح:

لضمان نجاح الفعل الكلامي بين المتخاطبين ينبغي توفر القواعد التأسيسية التي نادى بها "غرايس" لكن هناك من أطراف الكلام من يخترق قانون التأدب الذي أكدت على أهميته "روبين لاكوف" و راح يمارس سلطته على الآخرين من خلال خطابات تجسد الفرق بينه وبين الآخرين.

1- توفيق الحكيم، أهل الكهف، ص 24.

5-إشكـالات تداوليـة المسـرح:

المتتبع للحقل التداولي يدرك مدى التداخل و الالتباس الحاصل في هذا الحقل خصوصا في علاقته بالمسرح، "باعتباره نصا أدبيا و فرجة في آن واحد". حيث هنا يطرح إشكالات لا تقل عن سابقاتها أهمية خصوصا و أن الاهتمام بالبعد التداولي للمسرح حديث جدا يمكن ربطه زمنيا بعقد الثمانيات، و يمكن حصر الإشكاليات التي أفرزها الاهتمام الحديث بالتداولية المسرحية في ثلاثة و هي:

1- الإشكال الابستيمولوجي.

2- الإشكال النظري.

3- الإشكال الإجرائي.[1]

الإشكال الأول طرحه "دومينيك ما نغونو" Dominique mangonneau من خلال طبيعة العلاقة بين المسرح و التداولية، و الإشكال الثاني يتمثل في التساؤل حول أي شكـــل من أشكـــال التـــداولية و يمكن توظيفه في إطار نظرية المسرح، و هو إشكال طرحه "باتريس بافيس" في مقالات عدة، و الإشكال الأخير يرى أن المقارنة التداولية ستقتصر على النص الدرامي و لن نتجاوزه إلى العرض إلا في حالات قليلة، من خلال المقاربة السيميائية

1 – حسن يوسفي، المسرح و مفارقاته، مطبعة سندي،1996، ص 193

التي اهتم فيها أصحابها بدراسة العلامات المسرحية، الغاية في هذا الباب هو أن التداولية تتمثل في

توظيفها كأداة فعالة لدراسة الخطاب المسرحي، و مقاربة النص المسرحي تداوليا تثير إشكالين أساسيين: "الأول مرتبط بالشكل التداولي الذي يمكن توظيفه، و الثاني منسوب لعلاقة التداوليات كمفهوم بالمسرح كثنائية". و بما أن التداوليات ينصب اهتمامها على البعد الإستعمالي أو الإنجازي للكلام و يأخذ بعين الاعتبار السياق و حالة المتكلم بما فيها النفسية فهل يمكن استعمالها كوسيلة لدراسة الخطاب المسرحي؟

و إذا أمكن ذلك فهل سيتم الاشتغال على التلفظ المسرحي (اللغة) أم على العرض باعتباره فضاء مملوء بالديكور و الرموز، دون إغفال جسد الممثل و ما يمكن أن نستنتج منه من معاني و دلالات إضافية؟ خصوصا و أن خشبة المسرح" تحول الأشياء و الأجساد الواقعة عليها، و تضفي عليها قوة دلالية كبيرة تفقدها هذه الأشياء و الأجساد"[1]

6- مقـاربات تداوليـة المسـرح:

أ- خصوصية أفعال اللغة في المسرح:

وتمثلها "أوبرسفيلد" حيث انسجمت مع منطلقاتها النظرية التي تعلن عنها في مقدمة كتابها" قراءة المسرح lire le théâtre " و التي يحكمها هاجس البحث عن الخصوصية المسرحية، و في

1 – سيرا قاسم و حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، العلامات في المسرح،دار إلياي العصرية،القاهرة،1986،ص241

سياق انفتاحها على مستجدات الحقل اللساني و الأدبي، خصصت"أن أوبرسفيلد **Anne Ubersfeld**" في فصل من كتابها عنوانه " نحو تداولية للحوار المسرحي" حاولت من خلاله صياغة تصور حول البعد التداولي للخطاب المسرحي انطلاقا من خلفية نظرية تجد مرجعيتها في إحدى أهم النظريات التداولية هي " نظرية أفعال اللغة" التي يعد " أوستين" منظرا رئيسيا لها من خلال كتابه "**How To Do Thing With Words**" في إطار هذا التطور التداولي، تصوغ "أوبرسفيلد" مجموعة من المنطلقات النظرية نلخصها فيما يلي:

- الكلام فعل و قولا.
- الكلام مرتبط بوضعية، تلفظه و يتضمن المخاطب و السياق.
- لا يشتغل التبادل الكلامي بين متخاطبين إلا إذا اتفقا – ضمنيا – على عدد من المفترضات." Presupposés"
- يعد الفعل الذي يحققه الكلام جزءا من المعنى المعبر عنه.
- معرفة العلاقات المتبادلة بين الشخصيات أساسية لفهم و تأويل ملفوظاتها.

و لتوضيح هذه المنطلقات النظرية المستقاة من نظرية أفعال اللغة، تقوم " **أوبرسفيلد"** بتحليل الملفوظ المنقوش على جدار ما حيث تتناوله من مختلف الزوايا التداولية بمراعاة المتخاطبين، السياق، التلفظ، العلاقات ثم الكلام كفعل: علاوة على هذا تتبنى **"أوبرسفيلد"** تصور**" أوستين"**عن أفعال الكلام التي يتم إنجازها من خلال ملفوظ معين و هي "الفعل التعبيري(locutoire) المتمثل في المحتوى الدلالي المعبر عنه في الملفوظ، و الفعل ألتأثيري(perlocutoire) المتمثل في القدرة التعبيرية و الانفعالية للملفوظ و الفعل ألتخاطبي(illocutoire) المتمثل في تأسيس ميثاق أو اتفاق مع الأخر من خلال الملفوظ". و على الرغم من كونها توجه انتقادات إلى هذا التصور باعتباره يركز على قصديه المتكلم التي هي إشكالية ذات طابع سيكولوجي و ليس لساني بالإضافة إلى كونه لا يهتم بإحدى أهم وظائف اللغة و هي الوظيفة الشعرية، على الرغم من كل هذا فإن"أوبرسفيلد" تعرف بأهمية هذا التصور في تحليل الخطاب المسرحي حيث تقول: "إن نظريات أفعال اللغة أتت بإضافات دقيقة لتحليل الخطاب المسرحي".[01]

و عليه **"أوبرسفيلد"** ترى أن الخطاب المسرحي له خصوصية تميزه و تتجلى في تراكب(superposition) وضعيتين للتلفظ: وضعية **التلفظ التخيلي**، و وضعية **التلفظ ألمشهدي** (فوق الخشبة) و المسرح هو الفن الذي يكشف عن اللغة في علاقتها بوضعية ما حتى و لو كانت هذه الوضعية متخيلية.

و لإبراز خصوصية أفعال الكلام في المسرح، نرى أن الفعل التعبيري يتضمن في المسرح إجراءين مختلفين: إلقاء و إعطاء معنى لهذا الكلام، أما الفعل التأثيري فيتمثل في إحداث أثر فعلي واقعي على المتفرج في حين لا يحدث سوى أثر مصطنع على من يتقاسم الدور مع الممثل فوق الخشبة. أما الفعل التخاطبي فإنه صعب خصوصا و أن الفعل اللغوي بكل تأثيراته الدقيقة على المتلقي يبدو فعلا

Anne Ubersfeld, lire le théâtre, Messidor/ éditions sociales, paris 1982 – 1

مموها و ليس حقيقيا.

ب- خصوصية الجهاز التلفظي في الحوار المسرحي:

في دراسة متميزة تحت عنوان"من أجل مقاربة تداولية للحوار المسرحي" تحدد أرشيوني" orecchioni" أهم التوجيهات التي عرفها الحقل التداولي بما فيها التداولية التلفظية، و التداولية التخاطبية و التداولية التحاورية، مؤكدة أن النص المسرحي يمكن أن يشكل موضوعا أساسا لهذه التداوليات الثلاث، و ذلك للاعتبارات التالية:

- التواصل المسرحي هو جهازا تلفظيا.
- القول في المسرح فعل بامتياز.
- النص المسرحي يقدم حوارا بين شخصيات متفاعلة.

انطلاقا من كون كل واحد من هذه الاعتبارات يدخل في إطار إحدى التداوليات الثلاث، تعمل أورشيوني على اختيار مجموعة من المفاهيم الوصفية المندرجة ضمن هذه التداوليات من خلال تطبيقها على النص المسرحي في شكله المكتوب بالخصوص، و الهدف من هذه العملية الإختبارية هو البحث في خصوصية الجهاز التلفظي المسرحي انطلاقا من فرضية أساسية مفادها أننا:" لا نتحاور في المسرح مثلما نتحاور في الحياة اليومية

ولا ينبغي أخذ هذه التصنعات المصطنعة على أنها نسخ محاكية تماما للتبادلات الكلامية التي

تجري في الحياة العادية".[1]

ج- الاشتغـال الدلالي التـداولي للحوار المسـرحي:

في دراسة متميزة تحت عنوان"الحوار في المسرح" يعمل أندري بوتيجان "andré petit-jean" على وصف و تحليل الاشتغال الدلالي التداولي للحوار المسرحي من خلال أمثلة نصية مأخوذة من الريبرتوار المسرحي الكلاسيكي و المعاصر، و انطلاقا من نفس الخلفية النظرية التي انطلقت منها "أورشيوني" يحاول بوتيجان بالاعتماد على أفعال الكلام، و التحليل التحاوري و نظرية المبادئ التفاعلية و تقديم تحليل هاجسه الأساس إبراز التماثلات بين الحوارين العادي و المسرحي من جهة، و الاختلافات من جهة أخرى، و ذلك بهدف تحديد الخصوصيات المميزة للحوار المسرحي باعتباره "نتاجا لعمل الكتابة و سياقة النص".[2]

ركز بوتيجان على التشابه بين الحوار العادي و الحوار المسرحي مبرزا عناصر التماثل بينهما فيما يلي:

- الحوار بدوره يخضع لنوع من التنظيم.
- الكلمة في الحوارين مرتبطة بالوضع الرمزي.

1. Kerbrat- Orecchioni- Catherine, pour une approche pragmatique du dialogue théâtral, in pratiques, n41,mars 1984, p48
2. Petit.jean, André, La conversation au théâtre, in pratiques N41, mars 1984, p63

- صورة المتحاورين داخلة في اللعبة الحوارية أي صورتهم عن أنفسهم و الصورة التي يريدون تقديمها للآخرين عن أنفسهم.
- يمكن للحوارين العادي و الدرامي أن يتحققا عن طريق عمليات نصية (سرد، وصف، برهنة).

د- التلفظ المسرحي و القراءة المضاعفة:

خصص "دومنيك مانغونو" فصلا من كتابه "تداولية الخطاب الأدبي للمسرح" حيث عنونه بـ "ازدواجية الحوار المسرحي" و كما يتضح من هذا العنوان نفسه، فالازدواجية هي الخاصية المميزة للحوار المسرحي لأنها تجعله يمتلك وضعيتين للفظتين في آن واحد: الأول يوجهه إلى الجمهور لأنه هو الفعل التلفظي، و الثانية هي الوضعية المعروضة و فيها تتبادل الشخصيات الأقوال و هنا تتميز بالاستقلالية اللفظية.

وفي إطار هذا التحليل بخصوصية التلفظ المسرحي يرى"مانغونو"أن الأمر يتعلق بمتحاورين يبدون مستقلين في حين أن مجموع ملفوظاتهم المسرحية لها مرجع أساسي هو "جامع التلفظ"،

و هذا التداخل يفرض على قراءة العمل المسرحي في إطار نص مسرحي، و يتعامل معه كفضاء قابل للاختراق في كل الاتجاهات بحيث يمكنه من المشاهدة أو القيام بمقارنات بين المقاطع. و من هنا نميز ثلاثة هواجس في تداولية المسرح:

- وضوح المنطلقات النظرية: تحديد الاختيار التداولي في دراسة الخطاب المسرحي، و ذلك عن طريق اختيار تلفظي أو تحاوري أو تخاطبي.

- التركيز على النص المسرحي في بعده المكتوب حيث أنه يختار العرض المسرحي خصوصا و أن النموذج المسيطر الآن هو اللساني، و العرض يقوم على أنساق مختلفة لغوية و غير لغوية.
- حضور الخطاب المسرحي بخصوصية المسرحية و مقارنته بخطابات أخرى خاصة العادية.

7- المسـرح و التواصـل :

إذا كانت التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال أو دراسة اللغة في التواصل، فإلى أي مدى يمكن أن يجسد المسرح هذه الوظيفة؟ أو بعبارة أخرى هل يعتبر المسرح الإطار الأمثل لدراسة التداولية باعتباره تواصلا عاديا؟

يقال: "أن المسرح صورة مصغرة للعالم و الحياة حيث توزع الأدوار على كل شخص، و بتالي فإن خطاب الممثلين و الشخصيات المسرحية هو نفسه خطاب المتكلمين في الواقع إذ أن المؤلف لا يمكنه أن يخرج عن الأعراف الخطابية و الاجتماعية للغة التي يكتب بها".[1]

نلاحظ من هذا التعريف أن الكاتب أراد أن يوصل لنا فكرة أن الخطاب المسرحي ما هو إلا تجسيد لأحداث واقعية في المجتمع الخارجي، ودليل ذلك وجود شخصيات مسرحية تتقاسم أدوار الأحداث، و إذا كانت عملية التواصل العادي تتطلب وجود مرسل و متلقي، و رسالة، و واقع تواصلي هو المقام بكل مقوماته الاجتماعية و النفسية و الحضارية و ينبغي لهذا التواصل أن يقوم

1-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص10.

على أساس تبادل الوظائف بين المرسل والمتلقي عبر نفس الوضع، فيتحول المرسل إلى متلقي و

العكس،[1] فان الخطاب المسرحي لا يكاد يخلو من هذه المكونات، فالمرسل في المسرح هو المؤلف عادة أو المؤلف و المخرج المسرحي و الممثلون، و المرسل

إليه هو المتلقي أو المتفرج (المتلقي إذا كان المسرح نصا و المتفرج حين يكون المسرح عرضا)، و الرسالة هي الخطاب أو العرض، أما المقام فهو العلامات اللغوية في شكلها السمعي – المرئي.

بموجب توفر هذه الشروط يمكن أن نقول بأن المسرح هو أحد أنواع التواصل و التبليغ و إن اختلف عن التواصل العادي في انعدام صفة القصدية.

و المسرح ينقسم إلى نوعين مسرح نص و مسرح عرض أو بمعنى آخر نص مسرحي ذهني، و مسرح ممثل و إذا كانت عناصر التواصل في المسرح الممثل هي العناصر التي ذكرت سابقا، فإن النوع الثاني منه يفتقد إلى السياق المادي الذي تتجسد فيه العملية التواصلية، و إنما يمكن أن نقول بأن له سياقا تصوريا. [2]

هذا السياق هو نفسه سياق الحوار الذي يجري بين الشخصيات من خلال العلامات التي يقدمها المؤلف عن البيئة التي يجري فيها الحوار، و الظروف الزمانية المحيطة بها.

و عليه فإن اعتبار المسرح وضعا تواصليا يحيل مباشرة إلى وجود وظائف الخطاب التواصلي التي تصورها" جاكبسون" فالوظيفة التعبيرية المتعلقة بالمرسل يفرضها على الخشبة أما المخرج المسرحي فطريقته في التعبير عن هذه الوظيفة تعتمد على وسائل كالديكور و الإضاءة و الموسيقية بالنسبة للمسرح الممثل، أما بالنسبة للمسرح الذهني، فان المرسل هو المؤلف ووظيفته التعبيرية تتجسد في حوار شخصيات مسرحية والإيماءات الزمانية و المكانية التي يذكرها في نصه بين الحين و الحين.

1- المرجع السابق ، ص 40.

2- م ن، ص 41.

أما الوظيفة التبليغية فتتعلق مباشرة بـ (المتفرج/القارئ)، و الوظيفة المرجعية و هي التي تمكن (المتفرج/ القارئ) من معايشة الواقع الذي يتحدث عنه المرسل.

أما الوظيفة الإفهامية التي تضمن توصيل الخطاب بين المرسل و المتلقي، في حين تتعلق الوظيفة الشعرية بالخطاب المسرحي ذاته و مدى قدراته على توصيل المطلوب.

و عليه يمكن القول أن الخطاب المسرحي نظرا لتوفره على كل مقومات الخطاب التواصلي العادي هو نوع من التواصل أراد بـه صاحبه إيصال فكرة أو بالأحرى تجسيد واقعة اجتماعية و لذلك قيل:" إن النص الناجح أو المسرحية الناجحة هو ذلك النص الذي يتمكن فيه صاحبه من الاقتراب

من النص الأصلي، من حيث الدلالات التي يرغب المؤلف في إيصالها إلى الجمهور، من خلال إظهار أحسن لكل أبعاد التداولية لمختلف العناصر اللغوية التي يشتمل عليها النص، لأن الأهم في كل ذلك هو أن يفهم المتلقي الأبعاد المختلفة لخطاب المؤلف".[1]

1- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 42.

الأفعال الكلامية:

تعد نظرية الأفعال الكلامية Théorie des actes des paroles الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، و هي من أهم نظرياته، و قبل الحديث عن النظرية و البحث عنها في أعماق التفكير العربي و الغربي سأحاول تحديد مفهوم " الفعل الكلامي" Acte de parole فماذا نقصد بهذا المصطلح؟

و يجيبنا عن هذا السؤال الباحث الجزائري "مسعود صحراوي " في مؤلفه "التداولية عند العلماء العرب " قائلا: " بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان " ج.ل.أوستين" و تلميذه " ج.سيرل " حول هذا المفهوم اللساني التداولي الجديد، فإن "الفعل الكلامي" يعنى: التصرف أو (العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ومن ثم فـ"الفعل الكلامي" يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة و من أمثلته : الأمر و النهي، و الوعد و السؤال، و التعيين، و الإقالة، و التعزية، و التهنئة،.... فهذه كلها أفعال كلامية." [1]

فالفعل الكلامي من هذا المنطلق هو انجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل و ذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، و من ثم التأثير في المتلقي عن طريق حمله على فعل ما أو تركه أو تقرير حكم من الأحكام أو تقديم وعد أو السؤال عن أمر ما أو إبرام عقد من العقود.

1- الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:

درست الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ضمن مباحث علم المعاني، و تحديدا ضمن نظرية الخبر و الإنشاء، و اشتغل ببحثها عدد من علمائنا العرب ضمن مؤلفاتهم على اختلاف مذاهبهم و اتجاهاتهم الفكرية، فاهتموا بهذه الظاهرة الأسلوبية اهتماما كبيرا و له فصولا و أبوابا

1- مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب ، ص 10-11.

عديدة و تعمقوا في بحث أسسها و مبادئها و معانيها و تقسيماتها المختلفة، فكانت نظرية " الخبر و

الإنشاء " محط أنظار الفلاسفة و المناطقة أمثال: "أبو نصر الفرابي " (ت 338 ه) و " أبو علي ابن سينا " (ت 428 ه) " نجم الدين الكاتبي القزويني " (ت 493 ه) و" قطب الدين الرازي "(ت 766 ه) و غيرهم. و قد عني هؤلاء بدراسة التراكيب الخبرية مستبعدين من مجال دراساتهم التراكيب غير الخبرية بعد أن قسموا الكلام إلى أسلوبين هما الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي.

كما اشتغل بالبحث في هذه الظاهرة و دراستها عدد من الفقهاء و الأصوليين نحو: "ابن الرشد القرطبي" (ت 595 ه) و " فخر الدين الرازي" (ت 606 ه) و غيرهم، و قد اهتم هؤلاء العلماء بدراسة الأسلوبين الخبري و الإنشائي معا بغرض دراسة المعاني الوظيفية للقول و تحديد المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني.

و من النحاة و البلاغيين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية اهتماما كبيرا " سيبويه" (ت حوالي 180 ه) و " عبد القاهر الجرجاني" (ت 491 ه) و" أبو يعقوب السكاكي" (ت 626 ه) و اهتم كل من النحاة و البلاغيين بدراسة الخبر و الإنشاء و حاولوا التمييز بينهما مع تقديم شروح وافية و كافية للظاهرين.

و لقد ركز الخطيب " القزويني" في دراسته لظاهرة الإنشاء و الخبر بالتحديد على مطابقة المقام " forme" للمقال "situation" الذي يرد فيه مع مراعاة مقتضى الحال و يعرف علم المعاني بأنه " علم يعرف به أحوار اللفظ التي بها يطابق مقتض الحال ". [1]

التميز بين الأسلوب الخبري و الإنشائي و آراء بعض العلماء العرب في ذلك:

اختلف العلماء العرب قديما في التمييز بين الأسلوبين الخبري و الإنشائي فتعددت التقسيمات

1- الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة،تعليق محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط3،ج1،ص52

و اختلفت، و تضاربت الآراء و تنوعت بتنوع المراحل و العصور و اختلاف الأدوات التحليلية و تنوعها بين منطقية و نحوية و بلاغية و تداولية، ويكمن وجه الاختلاف بالتحديد في عدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح " الإنشاء" و الذي

لا نجد له وجودا إلا في مؤلفات بعضهم أمثال " الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني" (ت 493 ه) و هو أول من استعمل هذا اللفظ بمعناه الاصطلاحي الدقيق و "محمد بن علي الجرجاني " (ت 729 ه) و بعض النحاة المتأخرين ويشير إلى هذه القضية الباحث " مسعود صحراوي" في قوله: " تتميز المرحلة التأسيسية الثانية من عمر علم المعاني العربي(حتى وفاة السكاكي سنة 629 ه) بعدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح "الإنشاء" الذي هو أحد القسمين الأسلوبين الأساسيين. فلا نجد له ذكرا الأمام عبد القاهر الجرجاني أولا عند خلفه أبي يعقوب السكاكي، و لا عند الفلاسفة الذين ساهموا بقسط وافر في التقسيمات البلاغية و لا سيما في موضوع التمييز بين الخبر والإنشاء كالفرابي وابن سينا، مما يشير إلى عدم شيوع هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصا بين البلاغيين".[1]

و " ابن فارس " مثلا يرى أن الكلام ينقسم إلى معاني كثيرة حصرها في عشرة وهي: " خبر و استخبار، و أمر، و نهي، و دعاء، و طلب، و عرض، و تخصيص، و تمن، وتعجب ". و الخبر حسبه هو "ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، و هو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل دائم." [2]

أما الاستخبار فهو يقابل الاستفهام عند " ابن فارس" و هو طلب معرفة أمر مجهول عند المتلقي فيقول في هذا الصدد أن الاستخبار هو " طلب خبر ما ليس عند المستخبر، و هو الاستفهام. و ذكر الناس أن بين الاستخبار و الاستفهام أدنى فرق، قالوا: و ذلك أن أولى الحالين

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص54.

2- ابن فارس أحمد، الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر، 1910، ص 150.

الاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته و ربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم".[1]

أما السكاكي " فيقسم الكلام إلى خبر و طلب، و الخبر عنده هو ما يحتمل الصدق و الكذب و يرجع السبب في احتماله الصدق و الكذب إلى إمكانية تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث انه حكم مخبر، و مرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه، ذلك الحكم و يسمى هذا فائدة الخبر.[2] فإذا طابق الخبر

الواقع فهو صادق و إذا لم يطابقه فهو كاذب. كما قسم السكاكي الطلب إلى نوعين: (3)

النوع الأول منه هو " التمني" و يشتمل النوع الثاني من الطلب على "الاستفهام" و "الأمر" و "النداء " و "النهي".
لكن على الرغم من شيوع مصطلح " الإنشاء" و استعماله من قبل المتأخرين إلا أنهم لم يتفقوا على مسمى واحد له، فمنهم من قسم الأساليب إلى ثلاثة أقسام: خبر و طلب و إنشاء. و لم يكتف الدارسون العرب بتقسيم العلوم إلى قسمين كبيرين فقط (الخبر و الإنشاء) بل توغلوا في دراسة تلك المعاني التي يخرج إليها كل قسم، مراعين في ذلك المقامات المختلفة التي ترد فيها هذه المعاني، بل وأكثر من ذلك راحوا يميزون بين الجمل من حيث شدتها و ضعفها و ما ينتج عنها من معاني مختلفة، و هذا ما يقابل مفهوم " القوة الانجازية " في عرف التداوليين المعاصرين في الغرب، و أقل ما يمكن قوله أن هذه الأبحاث و هذه الدراسات العربية تميزت بوجهة نظر ذات بعد تدولي خلال

1- ابن فارس أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، ص 151- 152.

2-السكاكي أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 245.

3- م ن ،ص 415.

دراستها و تعاملها مع اللغة، و سأحاول توضيح كل هذه النقاط التي يتداخل فيها الدرس التداولي

العربي مع الدرس التداولي الغربي في العناصر الآتية من هذا الفصل.

1 – الخبـــــــر:

اختلف الدارسون في ضبط مفهوم الخبر و تحديده، فمنهم من حصره بين معيار الصدق و الكذب مع الأخذ باعتقاد المتكلم، و منهم من رفض هذا الحصر و دعـا إلى وجوب الأخذ باعتقاد المتكلم و ظنه حتى و إن خالف الخبر الواقع لا يتهم المتكلم بالكذب، و آخرون جمعوا بين الشرطين السابقين و ذهبوا إلى أن الخبر إما

يكون صادقا فهو مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بمطابقته للواقع و إما أن يكون كاذبا و بالتالي فهو غير مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بعدم مطابقته حتى و لو ثبت العكس.

و فيما يلي سأحاول عرض و توضيح هذه الآراء أو الاتجاهات الثلاثة:

ـ يتفق معظم العلماء و الباحثين على أن الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب مراعين في ذلك قصد و اعتقاد المخبر فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقة لنسبة الخارجية مع اعتقاد المخبر بمطابقتها فالكلام الصادق، و إذا كانت نسبة الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية مع اعتقاد المخبر بمطابقتها فالكلام كاذب، و من هنا فالخبر يقبل الحكم عليه بالثبوت أو النفي عكس الإنشاء، وهنا يكمن الفرق بين الأسلوبين، إذ أن الخبر له نسبة خارجية يقصد من خلالها مطابقة الواقع أولا مع اعتقاد المتكلم و قصده إلى مطابقتها، إذا كان الخبر صادقا و عدم قصده إلى مطابقتها مع النسبة الخارجية إذا كان كاذبا، بخلاف الإنشاء الذي لا يقصد من نسبة الكلامية مطابقة الواقع بل يحاول إيجاد مدلول خارجي يتطابق مع لفظه، و يوضح الخطيب القزويني الفرق بين الأسلوبين في قوله: " و الفارق بين الخبر و الإنشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر و

الإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة و لا لعدمها."[1] و هناك من الباحثين من ينفي وجود نسبة خارجية للإنشاء و إلا اعتبرناه " خبرا " بمجرد تطابقها أو عدم تطابقها مع النسبة الكلامية، و يوضح ذلك " القزويني "مرة أخرى في قوله: " و عبد الحكيم و غيره يقولون الإنشاء لا خارج له، إذا لو كان له خارج لكان خبرا يتصور فيه الصدق و الكذب اللذان هما من لوازم الخارجية و اللازم باطل فبطل الملزوم".

ـ و اختلف بعض العلماء حول انحصار الخبر في الصادق و الكاذب، فمنهم من قال بوجوب الأخذ باعتقاد المتكلم أثناء الحكم على الخبر، فالحكم بصدق الخبر أو بكذبه يكون بحسب اعتقاد المخبر بوطنه، فإذا أخبر عن أمر ما و اعتقد بصوابه و قصد مطابقته للواقع ثم تبين أن ذلك الأمر بخلاف ما قاله أي بخلاف الواقع فلا يتهم بالكذب و إنما يقال الخطأ، و يستشهد أصحاب هذا الاتجاه بقول عائشة رضي

الله عنها فيمن شأنه كذلك " ما كذب و لكنه وهم."[2] لأنه لم يتكلم بخلاف اعتقاده أو ظنه.

ـ أما الاتجاه الثالث فيمثله الجاحظ الذي ينكر انحصار الخبر في الصدق و الكذب فقط و يرى أن الخبر ينحصر في ثلاثة أقسام وهي: [3]

أ ـ إما أن يكون صادقا و بالتالي فهو مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق له.

ب ـ إما أن يكون صادقا و بالتالي فهو غير مطابق للواقع مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقته له.

ج ـ إما أن لا يكون صادقا و لا كاذبا و فيه أربع حالات:

1- الخطب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 56.

2- م ن ، ص 60.

3- م ن ، ص 61.

ـ مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق.

- مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلا.

- غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق.

- غير مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلا.

و من هذا المنطق يعتمد " الجاحظ " في حكمه على صحة الخبر أو كذبه على عنصرين مهمين و هما: مطابقة الخبر للواقع وقصد المتكلم و اعتقاده لهذه المطابقة. و الملاحظ في تقسيم " الجاحظ "هذا أنه اعتمد على بعض المعايير التداولية الحديثة في حكمه على صحة الخبر أو كذبه، فهو يتغلغل في نفسية المخبر أثناء كلامه (قصده و اعتقاده)، و هذا ما يركز عليه التداوليون المعاصرون أثناء دراساتهم و تحليلهم للغة.

أقسام الخبـــــر:

قسم الخبر بحسب درجة قوة دلالاته و ضعفها إلى ثلاثة أقسام اتفق العلماء على تسميتها على النحو الآتي: [1]

- الخبر الابتدائي:

هو الخبر الذي لا يحتاج إلى تأكيد و يستغني فيه عن مؤكدات الحكم لأن المتلقي يكون خالي الذهن تماما، و يقول " السكاكي" في هذا النوع من الخبر: فإذا اندفع في الكلام مخبرا، لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته للمخاطب متعاطبا مناطها بقدر الافتقار فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه، ليحضر طرفاها عنده، و ينقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتقاء، كفى في ذلك الانتقاش، حكمه و يتمكن

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 258.

لمصادفته إياه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم، و يسمى هذا النوع من الخبر ابتدائيا.[1]

و مثال هذا النوع قولك لشخص ما: " علاء الدين طالب مجتهد" فأنت هنا بصدد إخباره باجتهاد "علاء الدين" فالمتلقي خالي الذهن تماما لا يعلم أن " علاء الدين " طالب مجتهد.

- الخبر الطلبي:

هو ما يحتاجه متلقيه إلى تأكيد من قائله بأحد أدوات التأكيد مثل: "اللام" أو "إن" حتى يقضي على حيرة وشك المتلقي. يقول "السكاكي" في هذا النوع: "وإذا ألقاها إلى طالبها متحير طرفاها عنده دون الاستثناء فهو بين لينقذه من ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة، أو" إن "... كنحو لزيد عارف أو إن زيدا عارف... ويسمى هذا النوع من الخبر طلبيا.[2] و مثال هذا النوع قولنا: " إن علاء الدين طالب مجتهد في تأكيدنا على اجتهاد " علاء الدين " لمن يشك في اجتهاده.

- الخبر الإنكاري:

هو الخبر الذي يتطلب مقامه تأكيد الكلام نتيجة إنكار السامع له و يقول " السكاكي " في من شأنه كذلك، "و إذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده."[3]

و نقول أن اجتهاد "علاء الدين" و هو هنا تأكيد الخبر بـ"لام" التأكيد و "إن" أما في حالة من

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 258.

2- م ن، ص ن.

3-م ن، ص ن.

يبالغ في إنكاره لصدق الخبر تقول له: " و الله إن علاء الدين لطالب مجتهد " باستخدام القسم بالله

تعالى و أدوات التأكيد.

المعاني التي يحتملها الخبر:

يخرج الخبر إلى معاني و أغراض مختلفة باختلاف المقامات التي ترد فيها و منها.[1]

ـ التعجب: نحو قولك: " ما أجمل هذه الحديقةّ !"
ـ التمني: مثل:أحببتك رجلا شهما.

ـ النهي: نحو قولك: لا تقرب الصلاة دون وضوء.

ـ النفي: مثل: "لا بأس عليك".

ـ الدعاء والطلب: نحو " سامحه الله و غفر له، أو كطلب المغفرة نحو قولك " أستغفر الله".

ـ الأمر: في مثل قوله عز وجل: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ [2]

ـ التعظيم: مثل قولك: " سبحان الله العظيم ".

2 – الإنـشــاء:

اختلف العلماء قديما حول استعمال مصطلح " الإنشاء "، و لاحظنا من خلال ما سبق أنه كان يعبر عن " الإنشاء " في مؤلفات بعضهم بمصطلح آخر و هو الطلب. و منهم من صرح بأن الطلب هو نوع من أنواع الإنشاء.

و " الإنشاء" هو الكلام الذي لا يحتمل الحكم عليه ثبوتا أو نفيا، و قد يطلق على الكلام الذي

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 258.

2- سورة البقرة،الآية 228.

ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أي لا يقصد من نسبته الكلامية أن تطابق أو لا تطابق نسبته الخارجية و إنما يبحث عن مدلولات في الخارج تتلاءم مع لفظه. و قيل انه الكلام الذي " لا يحتمل الصدق و الكذب لذاته و لا يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج و توقفه عن النطق به.[1]

أقسام الإنشاء:

الإنشاء قسمان: طلبي و غير طلبي.

- الإنشاء الطلبي:

هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب.[2] و يشتمل هذا الضرب مجموعة من الظواهر الأسلوبية المتنوعة بتنوع الصيغ الكلامية " الأفعال الكلامية " و أساليبها، أو بتنوع أغراضها التواصلية و قد قسمت تلك الأساليب و الصيغ بعد دراسة و بحث و توسع إلى تسعة أقسام و هي [3]: الاستفهام و الأمر والنهي و التمني والترجي و النداء والدعاء و الغرض و التحضيض.

و من البلاغيين من قسمها إلى خمسة أقسام و هي: الأمر و النهي و الاستفهام و التمني و النداء، و يشير إلى هذه الأقسام الباحث " أبو سريع ياسين" في قوله: "

وهي ـ أي الأساليب الإنشائية الطلبية ـ خمسة: التمني و الاستفهام و الأمر و النهي و النداء، لأنه ـ أي الأسلوب ـ إما أن يقتضي كون مطلوبه ممكننا أو لا." [4]

و ذلك لأنهم يعتبرون الدعاء نوع من الأمر و التحضيض و الترجي نوعان من أنواع التمني و أما العرض فهو ضرب من الاستفهام.

1. عبد السلام محمد هارون،الأساليب الإنشائية في النحو العربي،مكتبة الكاتبي القاهرة،ط1981،3،ص13.
2. عبد العتيق عزيز،علم المعاني،دار الآفاق العربية،القاهرة،مصر،د.ط،2004،ص 58.
3. عبد العزيز أبو سريع ياسين،الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية،مطبعة السعادة،سلطنة عمان،ط1989،1،ص10
4. المرجع نفسه، ص14.

- الإنشاء غير الطلبي:

هو ما لا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، أي لا طلب فيه و من أنواعه: أفعال التعجب و أفعال الذم و أفعال الرجاء و القسم و لفظ رب و كم الخبرية و صيغ العقود و المعاهدات و غيرها.

و هذا الضرب من الإنشاء لا يدخل في باب علم المعاني لذلك يجمع البلاغيون على عدم دراسة الأساليب الإنشائية غير الطلبية بحجة أنها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، لذلك يستغنى بأبحاثها الخبرية عن الإنشائية، و هذا على عكس النحويين الذين أولوا اهتماما كبيرا بهذا الضرب من الإنشاء، حيث اجتهدوا في دراسته و توسعوا في البحث في أساليبه المختلفة لدرجة أنهم عقدوا لبعضها أبوابا خاصة لدراستها.

2 ـ الأفعال الكلامية في منظومة البحث اللغوي الغربي المعاصر:

تعد نظرية الأفعال الكلامية أحد أهم الأسس التي قامت عليها اللسانيات التداولية في منظومة البحث اللغوي الغربي المعاصر، و ذلك باعتبارها المجسد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، حيث تهتم بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة، من تبليغ و انجاز أفعال و تأثير ، وكل ذلك بغرض إنجاح العملية التواصلية بين المتحدثين.

و تأتي أهمية هذه النظرية في كونها ساهمت في تغيير تلك النظرة التقليدية في معالجة الظاهرة اللغوية التي كانت تنحاز بشدة للاستعمال المعرفي و الوصفي للغة، حيث نظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع و مؤثرة فيه، و هي

بهذا ألغت الحدود القائمة بين الكلام و الفعل لذلك يعتبر " باختين" « Bakhtien »أن المعلومات المتبادلة بين طرفي الحديث(المتكلم \ السامع) تكون ضرورة مثارة بواسطة شيء ما و تسعى إلى تحقيق هدف ما، فهي عبارة عن حلقة ضمن سلسلة

التبادل الكلامي الذي يدور في فلك الحياة الاجتماعية الواقعية.[1]

و تبنى مبادئ هذه النظرية مجموعة من فلاسفة " أكسفورد" و عملوا على تطويرها فيما بعد لاسيما الفيلسوف الانجليزي " ج.ل.أوستين" الذي تأثر بشدة بما نبه إليه " فيتغنشتاين" و بدا هذا التأثر واضحا في محاضراته المعنوية بـ " كيف تنجز الأشياء بالكلمات " بالإضافة إلى اقتراحات تلميذه " سيرل" و جهود " غرايس".

و فيما يلي سأتحدث عن بعض من جهود هؤلاء الفلاسفة المشار إليهم سابقا، و عن أهم الأفكار و الاقتراحات و الإضافات التي قدموها في سبيل إثراء هذه النظرية و تطويرها و تقويم مفاهيمها.

فكرة الأفعال الكلامية حسب النموذج الأوستيني:

" جون لونغشاو أوستين" John langshaw Austin يعد أحد فلاسفة جامعة " أكسفورد " في القرن العشرين (20) وأحد أهم النقاد المعروفين، حيث كانت آراؤه محط اهتمام الفلاسفة و علماء النفس و اللغة و الاجتماع [2] و غيرها من العلوم الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة.

و قد ألف كتابا ساهم بشكل كبير في وضع أهم الأسس التي قامت عليها نظرية أفعال الكلام بعنوان " How to do things with words " و هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات (اثنتا عشرة محاضرة) ألقاها في جامعة " هارفارد " سنة (1955) و نشرت سنة (1962).[3]

و قد جاءت أبحاثه ردا على فلاسفة الوضعانية المنطقية الذين حصروا مهمة اللغة في إنتاج تراكيب

1-نصيرة غماري،نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة و الأدب الجزائرالعاصمة،ع:17،جانفي 2006،ص80.

2- عبد القادر عبد الجليل، المعجم الوظيفي لمقياس الادوات النحوية الصرفية، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 193.

3- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص60.

خبرية تقبل الحكم عليها بالصدق إذا طابقت الواقع الخارجي و بالكذب إذا لم تطابقه، و أهملت الجمل غير الوصفية و أخرجتها من منهج دراستها لأنها لا تحمل معنى

فكانت محاضرات " أوستين" ترمي إلى تفكيك أواصر هذه النظرة التقليدية و تفنيد مزاعمها.

ينطلق " أوستين" في نظرية أفعال الكلام من فكرة أن المتكلم عندما يتلفظ بكلام ما فإنه ينجز فعلا معينا في الوقت ذاته حيث يشكل التلفظ بأية عبارة لغوية انجاز ثلاثة أفعال كلامية في الوقت ذاته و هي: فعل القول و الفعل الانجازي و الفعل ألتأثيري، و يحاول "أوستين " في هذه المرحلة أن يمييز كل فعل عن الآخر بغض النظر عن ماهية التصنيف أو التداخل بين هذه الأفعال الثلاثة.[1]

فعل القول " Acte locutoire":

يتمثل في التلفظ بأصوات ما، و يندرج تحت هذا القسم ثلاثة أفعال لغوية فرعية بحسب تقسيم " أوستين" وهي [2]:

ـ الفعل الصوتي : Acte phonétiqueهو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي الى لغة ما.

ـ الفعل التركيبي \ ألتبليغي : Acte phatique هو إنتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم و تكون ضعة لقواعد النحو و التركيب.

ـ الفعل الدلالي \ الاحالي : Acte rhétique يتمثل في الربط بين الكلمات و دلالاتها حسب ما تحيل إليه.

و تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الأفعال الفرعية الثلاثة متداخلة فيما بينها، بحيث أنها تنجز في

1- عبد الهادي (ابن ظافر الشهري)، إستراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص155.

2- الجلالي دلاش،مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر:محمد يحيا،دوان المطبوعات الجامعية،ابن عكنون،الجزائر،1986،ص24

وقت واحد، فنحن حين ننتج سلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة معينة ضمن شكل عرفي

يمكن معرفته، وتنجز هذا العمل بقصد ما لأننا في العادة لا نتكلم ضد إرادتنا، كما يمكننا أن نتحكم في لغتنا و مع ذلك فالملفوظات اللغوية سلسلة كاملة من السمات الخاصة بها، فهي تتألف على شكل سلسلة من الأصوات التي تنتظم في مجموعات صوتية وفقا لقواعد نحوية و تركيبية ذات دلالة معينة، و من خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بإحداث فونولوجيا و مورفولوجيا نحوية و تركيبية.[1] و هذا ما أشار إليه " فان دايك" في قوله: " و نحن فهم من فعل الكلام الأصلي Acte Loctitionnary " فعلا معقدا يقوم هو ذاته على مراتب متعددة من انجاز الفعل، و أعني مستوى النطق (الفونيطيقي) و المستوى الفونولوجي (وظيفة الصوت) و الصرفي و مستوى التركيب النحوي (2)، و يمكن توضيح هذا التداخل بين الأفعال من خلال المخطط التالي:

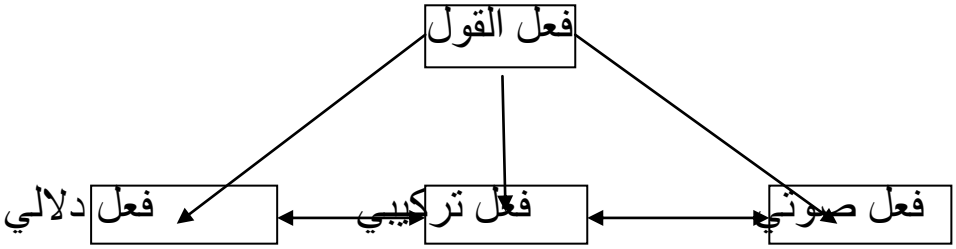

و يبدو لنا جليا ذلك التداخل بين الفعل الصوتي و الفعل التركيبي لدرجة استحالة الفصل بينهما ذلك أن إنتاج فعل تركيبي يتطلب معه ضرورة إنتاج فعل صوتي قبله، و فعل دلالي بعده، أي أن يكتسب معنى محدد، أما التلفظ بفعل القول يقودنا مباشرة إلى الصنف الثاني، أي ما اصطلح "أوستين" على تسميته بالفعل الانجازي الذي يعد محور هذه النظرية.[3]

1- فان دايك،علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتابة، مصر، ط1،2001 ، ص130

2- فان دايك، النص و السياق،تر: عبد القادر قينيني،أفريقيا الشرق، د. ط، 2000، ص 265،263.

3- عبد الهادي (ابن ظافر الشهري)، استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 156.

الفعل الانجازي: Acte illocutoire

هو عبارة عن فعل ينجز بواسطة القول، و لتوضيح هذا المفهوم نورد المثال الآتي:

ـ هل سيكون الجو جميلا غدا؟

إذا كان الاستفهام هنا بلاغيا بوصفه جزء من نص ما (مقال أو خطبة) فلا دور له سوى التعبير عن قلق حول حالة الجو.

أما إذا كان الاستفهام موجها إلى مستمع معين فانه سيأخذ قيمة أخرى و سيصبح مستعمل هذا السؤال ملزم بالإجابة عليه، وهذه الخصائص التي يأخذها التلفظ حينما نوظفها داخل علاقات الخطاب يسميها " أوستين " أفعالا خطابية، إلا أن هذا التعريف يبقى عاما وغير محدد مما يؤدي إلى اعتبار الأفعال الخطابية هي كل العلاقات التي تتأسس بين المحاورين في خطاب ما.[1] فإنجاز المتكلم للفعل الكلامي في الجملة السابقة و هو الاستفهام يضعه في مقام المنتظر لإجابة ما من المستمع لأنه المخصوص بفعل الخطاب داخل علاقة تضطره إلى إعطاء جوابه، ولكي يتحقق فعل الاستفهام يشترط " أوستين" فهم المستمع للقوة الخطابية التي يعطيها المتكلم لملفوظه، و قوة الخطاب هي كل ما يتعلق بانجازه و يكسبه نوعية خاصة : كأمر ـ وعد ـ استفهام.

وعليه فعملية انجاز الفعل الكلامي و تحققه متعلقة بقصد المتكلم و فهم السامع لهذا القصد فهما جيدا و من ثم الاستجابة له انطلاقا من القوة الانجازية المتضمنة في الفعل الكلامي و ذلك لأن اللغة حسب " أوستين " نشاط وعمل ينجز أي أن المتكلم لا يخبر فحسب بل انه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنية و قصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال.[2]

و تشير الباحثة " طالب الإبراهيمي" إلى أهمية المتكلم و دوره في تحديد قصده و درجة قوة

1-علي آيت أوشان،السياق و النص الشعري،من البنية إلى القراءة،دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،ط1،2000،ص70

2-خولة طالب الابراهيمي، مبادىء في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط،2000 ، ص161.

ملفوظه الانجازي و فهم المستمع للخطاب و ردة فعله التي تحدد مدى فهمه لقصد المتكلم و

درجة تأثره بالخطاب.

كما تشير إلى دور كل هذه العناصر في إنجاح العملية التبليغية بين المتخاطبين[1].

فإذا كانت القوة الانجازية في الجملة (المثال السابق) مثلا هي الاستفهام فإن نتيجة هذا الخطاب تتمثل في:

ـ الإجابة عن السؤال وهي نتيجة طبيعية.

ـ الرفض، و هنا لابد من إعادة النظر في درجة فهم المستمع للسؤال الذي هو عبارة عن فعل إنجازي أراد المتكلم من خلاله أن يبلغ متلقيه أمرا ما.

الفعل ألتأثيري: Acte perlocutoire

يتمثل في الأثر الذي يتركه الفعل القولي في نفسية المتلقي فيظهر جليا في ردة فعله، فقد

يغضب مما سمعه و فهمه، و قد يفرح أو يشعر بالإحراج أو بالحزن أو بالإهانة...،

فالمتكلم يسعى من وراء ملفوظه إلى التأثير على أفكار و مشاعر المستمع و يحاول استمالته

إليه، فيستجيب له و تسمى هذه الاستجابة "فعلا استجابيا " أو فعل التأثير في الخطاب و لا

يحدث ذلك إلا إذا تمركز في ذهن المستمع فعل الإقتناع persuader [2] و تتداخل هذه

الأفعال فيما بينها، ولا سيما الفعل الإنجازي و الفعل التأثيري. و يتضح هذا التداخل في

1- علي آيت أوشان، السياق و النص الشعري، ص 71.

2- م ن ، ص ن.

المثال الأتي: قولك لشخص ما: "الجو بارد".

فقد يقصد من خلال هذه الجملة إنجاز " فعل الإخبار " كما قد يقصد منها حث المستمع

وإثارة انتباهه إلى " غلق النافذة" مثلا أو " غلق الباب" أو " إشعال مدفأة " فعندما يقوم

المستمع بغلق النافذة أو إشعال المدفأة يكون قد استجاب لقول المتكلم و قصده، و من هنا

يتحقق إنجاز الأفعال الثلاثة (فعل القول و الفعل الانجازي و الفعل التأثيري) في الوقت

نفسه إلا أن تقسيم "أوستين" للفعل الكلامي بهذه الطريقة يرق لبعض أعضاء مدرسة

"أكسفورد" و وصفوه بالتقسيم غير الحاسم الذي يشوبه الكثير من الغموض و اللبس، و من

بينهم " سيرل " الذي يرى أن الفعل التعبيري كثيرا ما يحمل في داخله غرضا معينا.[1]

و على الرغم من الانتقاد الذي وجهه بعض الدارسين لتقسيم " أوستين"السابقة للفعل

الكلامي، إلا أن هذا لم يمنعه من تصنيف الأفعال الكلامية ضمن خمسة أصناف كبيرة مقسمة تبعا لمفهوم قوتها الإنجازية و هي: [2]

- **الحكميات: "les verdictatives"**: هدفها هو إصدار الأحكام مثل : برأ،حكم،قدر.
- **الممارسات المراسيات:"les exécutives"**: هي الأفعال الدالة على الممارسة كممارسة سلطة تشريعية أو قانونية مثل: عين، أعلى، نصح.

1-عبد الحق صلاح إسماعيل،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،ط1،1993،ص221، 224

2- م ن ، ص ن.

- **الوعديات:"les commissives"**: هي الأفعال التي يتعهد من خلالها المتكلم بانجاز فعل معين مثل: وعد، التزم، كفل.
- **السلوكيات:"les conductives"**: هي الأفعال التي تهدف إلى إبداء السلوك معين مثل: **هيأ،شكر، اعتذر**.
- **العرضيات: "les expositives"**: هي الأفعال التي تهدف إلى الحجاج والنقاش مثل: افترض، أثبت، برهن، استنبط.

الأفعال الكلامية في أبحاث "ج. سيرل":

بنى"جون.ر.سيرل" نظريته الجديدة انطلاقا من الأسس التي قام بوضعها أستاذه **"أوستين"** حيث أعاد صياغة أفكاره و تجديدها، وذلك عن طريق بعض التعديلات و الإضافات التي اقترحها **"ج.سيرل"** التي مست شروط إنجاز الفعل الكلامي و تصنيف الأفعال الكلامية مما أدى إلى ظهور نظرية منتظمة **"systématique"** لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية، و تقوم هذه النظرية على مبدأ القصدية فالكلام من وجهة نظر**"سيرل"** محكوم بقواعد مقصدية و يمكننا تحديد هذه القواعد وفق أسس منهجية واضحة و متصلة باللغة.[1]

وفيما يلي سأتحدث من التحليل و التدقيق عن أهم التجديدات و الإضافات التي قدمها **"سيرل"** لنظرية الأفعال الكلامية التـي يمكـن أن تتبعهـا عبر مرحلتين أسـاسيتين من مراحـل البحث و التنقيب لديه:

1- محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71

مرحلة الفعل الكلامي المباشر:

أعاد"سيرل" في هذه المرحلة تعديل التقسيم، الذي وضعه "أوستين" للفعل الكلامي على أساس التمييز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه [1] و هي: فعل القول، الفعل القضوي، الفعل ألانجازي، الفعل ألتأثيري.

- فعل القول:"Acte d'énonciation": يتميز في التلفظ بعبارة لغوية ما طبقا للقواعد الصوتية و التركيبية لتلك اللغة على نحو صحيح(و هو يضم كل من الفعل الصوتي و التركيبي عند "أوسيتن")

- الفعل القضوي:"Acte propositionnel": يقابل الفعل الدلالي في النموذج الاوسيتني الذي كان جزءا من "فعل القول" بالإضافة إلى الفعل الصوتي و التركيبي إلا أن "سيرل" جعله قسما مستقلا عن هذه الأفعال و ينقسم الفعل القضوي على فرعين أساسين و هما:

1- الفعل الاحالي"Acte de référence": يسهم في ربط الصلة بين المتكلمـين(المتكلـم والسامع) و يمكن توضيح ذلك من خلال المثال التالي: امرؤ القيس شاعر جاهلي حيث أن امرؤ القيس يحيل إلى اسم شخص معين معروف في عالم الشعر.

2-الفعل الحملي"acte de prédication": هو الإسناد، أي أن تسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه كأن نحمل على شخص أحلنا عليه فعل شيء ما، أي أن ننسب إليه

John.R.searle, les actes de langages, essai de philosophie de langage, hernann, -1 paris, 1972, p 60-72

فعل ذلك الشيء، مثل قولنا أمرؤ القيس شاعر جاهلي فقد أحلنا بـ " أمرؤ القيس" على شخص

معين و حملنا عليه فعل شيء معين فنسبنا له الشعر و اشتغاله بالشعر.

- الفعل ألانجازي"Acte illocutionnaire": لا يختلف على ما اقترحه **"سيرل"** في هذا القسم من الأفعال عما اقترحه أستاذه **"أوستين"** فالفعل ألانجازي دائما هو الفعل الذي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به، فقد يكون أمرا مثلا أو تهديدا أو نصحا أو تمنيا مثل: آمرك، أنصحك، أعدك.

كما طور"سيرل" تصور"أوستين" لشروط الاستخدام (الملائمة) التي إذا تحققت في الفعل الكلامي تحقق إنجازه في الواقع[1] و لخصها ضمن أربعة شروط قد تزيد و قد تنقص حسب طبيعة الفعل، و قام بتطبيقها تطبيقا محكما على بعض أنماط الأفعال الانجازية مثلا مثل: أفعال الرجاء، و الإخبار و الاستفهام و الشكر و الوعد و النصح و التحذير و التهنئة.

و فيما يلي سأذكر بعض الشروط المطبقة في فعل الوعد [2] la promesse التي يمكن تعميمها على بعض الأفعال الكلامية الأخرى، و يمكن إجمالها في القواعد الآتية:

***قاعدة المحتوى القضوي/الاسنادي: (Règle de contenu propositionnel):** يشترط أن يتم إنجاز الفعل على يد المخاطب في الزمن المستقبل.

***القاعدة التمهيدية (Règle d'introduction):** لنرمز للمتكلم و السامع و الفعل المراد

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 74.

2- Les actes de langage, essai de philosophie de langage, p 98-104

إنجازه على التوالي بـ (س) (ص) (ج) حيث:

- ✓ يطلب (س/ص (ص/القيام بالفعل (ج)
- ✓ (ص) قادر على القيام بالفعل (ج) و (س/على يقين من قدرة (ص) على إنجاز الفعل (ج)
- ✓ يشترط ألا يكون كل من (س) و (ص) على علم بأن (ص) سيقدم على إنجاز الفعل (ج) في المجرى العادي للأحداث و بصورة تلقائية.
- ✓ يشترط أن يكون (س) في مقام من له سلطة على (ص)[1]

***قاعدة الإخلاص (Règle de sincérité)**: مفادها أن (س) يريد حقا من (ص) أن ينجز الفعل (ج)

***القاعدة الأساسية (Règle essentielle)**: تتمثل في محاولة (س) التأثر على (ص) قصد إنجاز الفعل (ج)

- الفعل التأثيري "Acte perlocutionnaire " : يتمثل في ما يمكن أن يحدثه الفعل الانجازي في متلقيه من تأثير قناعته و أفكاره و مشاعره و عواطفه،فقد يخيفه و قد يحفزه و قد يحزنه و قد يشعره بالسعادة أو الامتنان أو بالحماس حسب طبيعة الفعل الانجازي و قوته أيضا،و يظهر أثره في سلوك المتلقي.

و تجدر الاشارة إلى أن مفهوم الفعل الانجازي و الفعل التأثيري من "سيرل" لا يختلف عن

1- نعيمة الزهري، الأمر و النهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة (الرباط)، د.ط،1997،ص158.

مفهوم الفعل الانجازي و الفعل ألتأثيري في النموذج "الاوستيني" لكن الاختلاف الجوهري يكمن في الفعل القضوي الذي جاء كقسم مستقل عن فعل القول عند "سيرل" الذي وقف فيه وقفة متأنية محاولا من خلال ذلك أن يدقق في أصغر وحدة يمكن أن تساهم في بناء هذا الفعل(القضوي) فأسهب في شرح تفاصيله و تحديد أقسامه و ضبطها و فحصها و تمحيصها، في حين أكتفى "أوستين" بعده فرعا من فروع الفعل القولي إلى جانب فرعين آخرين و هما الفعل الصوتي و الفعل التركيبي، و قد وضع "سيرل" مجموعة من القواعد التي تتحكم في إنجاز الأفعال الكلامية يمكن أن نصنفها بأنها :

- ✓ تتميز بكونها قواعد عرفية و ليست طبيعية.
- ✓ تتميز بكونها قواعد ذات طابع تواصلي تبليغي.[1]

و يهدف "سيرل" من خلال وضعه لهذه القواعد إلى فصل نفسه من السلـوكية التـــي تسلم بالقواعد الطبيعية المتمثلة في(المثير و الاستجابة) ذلك أن "سيرل" يسلم بوجود القواعد اللغوية وبفعالية القواعد الثقافية و الاجتماعية و هي قواعد ذات طابع تبليغي تواصلي و هذا ما جعله يختلف من أصحاب الاتجاه الصوري(غير تواصلي)،حيث يلتق كل منهما في فكرة أساسية مفادها أن عملية الإنتاج اللغوي لا تتم إلا بوجود قواعد معنية لكنهما يختلفان حول أمل هذه القـواعد و طبيعتها،فهي قواعد لغوية بحتة من أصحاب الاتحاد الصوري،وهـــي قـــواعد لغويـــة و اجتماعية و ثقافية تواصلية حسب الاتجاه التبليغي [1] على هذا الأساس يميز **"سيرل"** بين نوعين من القواعد[2].

1- نعيمة الزهري، الأمر و النهي في اللغة العربية، ص149

- **القواعد التأسيسية(Règles constitutives):** هي القواعد التي تحدد معايير إنجاز الفعل الكلامي و إنجاحه، و أي خلل فيها يؤدي إلى فشل الفعل الكلامي.

- القواعد الضابطة(Règles normatives): هي القواعد التي تحكم و تسير أشكال السلوكات الموجودة في الواقع مثل قواعد التهذيب التي تنظم العلاقات بين الأشخاص التي يمكن أن تختل دون أن يفشل الفعل الكلامي، ومثل ذلك لعبة الشطرنج، حيث يمكننا أن نستعمل أدوات من ورق أو حديد بدل الخشب دون أن يؤثر ذلك على سير اللغة، فخرق أحد هذه القواعد لا يؤدي إلى فشل الفعل الكلامي.

مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر و مساهمات"بول جرايس":

ميز "سيرل" في هذه المرحلة بين ما أسماه بالأفعال الانجازية المباشرة les actes illocationnaire directs وهي الأفعال التي تطابق قوتها الانجازية المعنى الحرفي الذي يقصد المتكلم، و الأفعال الانجازية غير المباشرة les actes illocutionnaire indirects وهي الأفعال التي تخالف فيها قوتها الانجازية قصد المتكلم، فالفعل الانجازي يؤدي

1- يحي(بعيطيش)،نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة،إشراف:عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري(قسنطينة)2005-2006

2- Les actes de langage, essai de philosophie de langage,p72-73

على نحو غير مباشر من خلال فعل انجازي آخر، و من هنا يلخص "سيرل" إلى أن بعض الجمل يمكن أن تتعدد قوتها الانجازية كأن تواكب نفس القضية أكثر من قوة انجازية واحدة.

و قد أشار "بول جرايس" إلى هذه الظاهرة في بعض محاضرته و اصطلح على تسميتها بظاهرة الاستلزام الحواري implication conversationnelle التي يميز خلالها بين القوة الانجازية الحرفية التي نستدل عليها من خلال الخصائص البنيوية للمقال كصيغة الفعل الانجازية و التنغيم و بعض الأدوات كأدوات

الاستفهام و النهي.... و بين القوة الانجازية المستلزمة التي تدرك من خلال الطبقات المقامية أو السياقية بصفة عامة.

حيث لاحظ هذا الفيلسوف أن الجملة قد تحمل في مقاماتها المختلفة معاني أخرى غير مباشرة فالناس أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون و قد يقصدون أكثر ما يقولون، و قد يقصدون غير ما يقولون، و من ثم راح يتساءل، كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا بينما هو في الأصل يقصد شيئا آخر؟ و كيف يمكن للمتلقي أن يسمع شيئا و يفهم شيئا أخر؟[1]

و تقوم هذه النظرية على ما اسماه "جرايس" بـ "مبدأ التعاون" le principe de coopérative" و قد ذكر هذا المبدأ للأول مرة في دروس تحت عنوان "محاضرات في التخاطب"[2] و صيغة هذا المبدأ: "اجعل تدخلك مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي

1-محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر،ص34،33

2-طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،دار البيضاء، المغرب، (بيروت،لبنان)، ط1، ص237،1998

تساهم فيه في المرحلة التي تتدخل فيها"[1] و الهدف منه حث المتكلم و السامع على تحقيق التواصل و بلوغ المعنى المرجو أثناء عملية التخاطب.

ويقوم هذا المبدأ على أربع مسلمات أساسية تضم كل مسلمة عددا من المبادئ الفرعية و هي كالآتي:

- ✓ **مسلمة الكم maxime de quantité:** تقوم على مبدأ اجعل إيفادتك أثناء الخطاب بالقدر المطلوب فلا تزيد ولا تنقص
- ✓ **مسلمة الكيف maxime de qualité :**
  - لا تقل ما لا تعلمه أو تعتقد أنه غير صحيح.

- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة عليه.

✓ **مسلمة الملائمة maxime de pertinencl** : ليكن كلامك مناسب لموضوع الحديث و ملائم له، أي ليناسب مقالك مقامك.

✓ **مسلمة الجهة maxime de modalité** :

- لتكن مشاركتك في الحديث موجزة.
- ليكن كلامك مرتب.
- ليكن تدخلك واضحا و بعيدا عن الغموض و اللبس.

1- أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، ص23.

يعتبر"جرايس" أن الدلالة اللغوية تنقسم إلى معنيين : معاني صريحة و معاني ضمنية.

❖ **المعاني الصريحة:** هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها(معاني مباشرة) و يندرج هذا الصنف من المعاني :

- **المحتوى القضوي:** يتمثل في معاني مفردات الجملة مضموما بعضها ببعض.
- **القوة الانجازية الحرفية:** المتمثلة في القوة الانجازية المتضمنة في الجملة و المؤشر لها بصيغة الاستفهام ،الأمر،النهي.

❖ **المعاني الضمنية:** هي المعاني التي تفهم انطلاقا من السياق الذي ترد فيه(المعنى المستلزم) فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها و يندرج تحتها صنفان من المعاني:

- **معاني عرفية:** هي المعاني المرتبطة بالجملة و التي لا ؟ و لو تغير سياق الجملة و يواكبها نوعان من المعاني الاقتضاء و الاستلزام المنطقي

- **معاني حوارية أو سياقية:** هي المعاني التي تتولد طبقا لسياقات التي تنجر فيها الجملة و يواكبها نوعان من المعاني قام "جرايس" بتسميتها بالاستلزام الحواري الخاص و هو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق، خاص و الاستلزام الحواري العام و تندرج تحته المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة و يسمى "جرايس" الانتقال من المعنى الأول(الخاص) إلى المعنى الثاني (العام) بـ : تحجر القوة الانجازية المستلزمة".[1]

1- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص26.

و في الأخير نختم حديثنا عن جهود "سيرل" و مساهماته في تطوير نظرية الأفعال الكلامية بتصنيفه لهذه الأفعال إلى خمسة أصناف [1] انتقد من خلالها تصنيف أستاذه "أوستين " وهي كالأتي:

الأفعال التصويرية/الاخباريات Actes représentatifs assertifs:

إن الغرض الانجازي فيها هو نقل و تصوير المتكلم لواقعة ما حيث يكون مسؤولا (بدرجات متفاوتة) عن تحقق هذه الواقعة من خلال تعهد بصدق القضية proposition المعبر عنها، و جميع أفعال هذا الصنف قابلة للتقسيم عن طريق الحكم عليها بالصدق أو بالكذب.

الأفعال التوجيهية Actes directifs:

يتمثل الغرض الانجازي في هذا الصنف في المحاولات التي يقوم بها المتكلم للتأثير على السامع لينجز له فعلا ما، و قد تكون هذه المحاولات لينة كقوله مثلا(أغريك...أناشدك) و قد تكون عنيفة كأن يقول(أصر على أن تفعل...) و تستعمل علامة التعجب في جميع المحاولات على اختلافها كعلامة لإظهار الغرض الانجازي لأعضاء هذه الفئة بصورة عامة.

الأفعال الإلزامية: Actes commissifs

هدف هذا الصنف من الأفعال هو إلزام المتكلم (و بدرجات متفاوتة) القيام بفعل ما في المستقبل.

1- عبد الحق (صلاح إسماعيل)،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،ص238،232

الأفعال التعبيرية: Actes expressifs

يتمثل غرضها الإنجازي في التعبير عن حالة بسيكولوجية (نفسية) تعبيرا يتماشى مع شرط الإخلاص و ليس لهذه الفئة اتجاه مطابقة إذ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم بل المقصود فيها صدق القضية.

الأفعال التصريحية: Actes déclaratifs

تتميز هذه الفئة من الأفعال بأدائها الناجح و يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للواقع خاصة إذا توفرت شروط إنجاحها مثل: حضور المؤسسات المؤطرة للفعل الإنجازي (مسجد، قاعة محاضرات، محكمة) فمثلا: إذا أديت فعل تعيين شخص ما رئيسا لقسم معين داخل الشركة و كأن أدائي صحيح فسيكون رئيسا لذلك القسم على الفور، أو إذا أعلن شخص الحرب و كان مخولا لذلك و في المكان المناسب لإعلان الحرب فإن الحرب قد أعلنت فعلا و من أمثلة هذه الفئة (أعلن، أسمي، أو رد أراهن...).

أفعال الكلام بعد "أوستين"و" سيرل":

تناول فكرة (أفعال الكلام) لسانيون عدة بعد (أوستين)و(سيرل) وعرضوا الكثير من قضاياها لاسيما مفهوم الفعل الانجازي وشروط قيامه ومفهوم القوة الانجازية ووسائل ظهورها في البنية واخفاقها من اولئك.

- اوزولد ديكرو: ذكر الشروط الانجازية بقوله (تكون جملة ما انجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك ويكون فعل ما انجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة انجازية).

وفي كتابه (القول واللاقول) حدد نوعا من الأفعال سماه أفعال الرأي وهي "ما يتعلق بالمتكلم ويعلم به السامع بتقنيات مثل: فكر، علم، تيقن، اعتق، تخيل، شك، جهل، تعلم..." وهي مجموع أفعال الشك والرجحان واليقين لكنه يجعل استعمالها مشروط بأمرين الأول أن تسند إلى ضمير المتكلم في المضارع والثاني أن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه.

ثم يميز أفعال الرأي هذه، عن قسم آخر من الأفعال يسمى أفعال الحجاج "التي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأيا لشخص، و لكن تعنى الافتراضات المساقة للرأي نحو: برهن، بين، فند.

- ديكنزو و ركاناتي: هما من الذين انتقدوا "أوستين" في بعض أقسام الأفعال إلى جانب (بنفنيست)و (سيرل) و غيرهما و اقترحا أربعة أقسام فقط وهي:

* أفعال إنجازية.

* أفعال ادراكية.

* قوة الانجاز.

* قوة الادراك.[1]

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 100-102

3- الأفعال الكلامية في مسرحية "أهل الكهف ":

تضمنت مسرحية "أهل الكهف" تنوعا كبيرا من الأفعال الكلامية و ذلك بحسب علاقتها بالمقام و ما يتصل به من قرائن الأحوال، حيث أن مسرحية يمكن أن تكون حكاية مستقاة من الذهن أو من الواقع و مسرحيتنا مستقاة من "القرآن الكريم" و ذلك ما جعل طابعها يتمازج و تدور قصتها حول الكهف الذي تاهوا فيه الفتية مدة ثلاثمائة عام و لما استيقظوا وجدوا حياة مختلفة، حيث أن الأفعال الكلامية تنوعت بين الأفعال الكلامية الإنشائية و الأفعال الكلامية الخبرية و هنا نتبين ذلك:

1- النداء:

يعد النداء مقصد الطلب و إقبال الداعي على المدعو، و لنداء أعراض عدة و متنوعة. و لقد ورد في المقطع التالي:

الناس: (صائحين في الخارج) يا صاحب الكنز، ابرز إلينا يا صاحب الكنز، لا تخف أخرج إلينا و لا تخف

مرنوش: أي كنز؟ و من هو صاحب الكنز؟

يمليخا: (يشير بالصمت هامسا)صه صه

مشلينيا: (همسا)أخشى أن يدخلوا علينا.[1]

في هذا المقطع بينت لنا أن الفعل الكلامي(يا صاحب الكنز) هو نداء جاء للتنبيه و الإخبار أنهم الناس، حيث أن الجملة في هذا المقطع بينت لنا أن الفعل جاء على شكل استخبار عن الكنز الذي يخفيه الكهف و يريدون معرفة ذلك الكنز لأنهم سمعوا عنه و لا يعرفون ما هو و لهذا هم في مناداة

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص44

و إخبارهم بعدم الخوف و يطلبون منهم الخروج ليعرف ما يخفون ورائهم.

الناس يمثلون في هذا الدعاء الفئة المنجية المستخبرة عن الأمر الذي يجري في الكهف،حيث أن النداء لا يهتم بالزمان حيث الناس هم المصلحين في الأرض و

يريدون الخير لهؤلاء الناس لكن الكنز (الفتية) و هم متعجبون ما سوف يخرج له و الفتية في الداخل خائفون أن دخلوا عليهم لأنهم لا يعملون ما هو الكنز الذي ينادون عليه و الناس يقصدون بالكنز هنا هم الفتية لأنهم ينتظرونهم منذ عهود لأن الأساطير كتبت عنهم و لم يظهروا بعد.

فرغم النداء الذي يتكرر لدعاء الله و ذلك للتعجب من أمور حيث أن قدرة الله واسعة و هو وحده الذي يبينها لنا في أمور و هذا ما يتبين لنا في المقطع التالي:

غالياس:خيرا يا مولاتي؟

الأميرة: رأيت كأني دفنت حية.

غالياس: (مفكرا لحظة)يا إلهي! أيمكن أن يكون لهذا صلة بما شاع اليوم في المدينة؟!

الأميرة: ماذا شاع بالمدينة؟

غالياس: أن كنزا من عهد دقيانوس مدفون في كهف بوادي الرقيم.[1] في هذا المقطع نتبين أن الفعل الكلامي (يا إلهي) نداء متضمن معنى الدعاء و ذلك من خلال الإيمان بالله و بقدره حيث أن ما رأته الأميرة في حلمها هو ما حصل في المدينة و ذلك أن قدرة الله واسعة حيث أن الكنز الذي شاع في المدينة هو الحلم الذي رأته الأميرة و هو كنز عهد دقيانوس و هم الفتية الذين ظهروا بعد عهود مختلفة و هذا التعجب و الدعاء لم يكن حكرا على الله بل إن الإنسان بحاجة إلى الإيمان بالله في كل زمان و مكان و لأن أموره لا ندر متى تصيبنا و ما تبنه لنا و هنا دعاء متمثل في التنبيه على الأمر الذي حلمت به و ما جرى في أرض الواقع و هما مكملان بعضا في الحوار الذي دار

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص48

بينهم(غالياس و الأميرة).

حيث أن الكنز لا يعرف عنه شيء سوى أنه من عهد دقيانوس الملك الذي قام بالمذبحة الكبرى.

- **الأمر:**

هو نفيض النهي، و الأمر عند البلاغين هو طل الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، و من أمثلة ذلك ما ورد في المقطع التالي:

مرنوش: و أنت؟ ألا تريد أن تستبقي حياتك من أجل...

مشلينيا: نعم يا مرنوش، لكن ها أنت ذا تراني لا أقوى على البعد يوما واحدا.

مرنوش: مشلينيا: احذر لنفسك و لنا! المذبحة لا تزال قائمة في المدينة، إني لن أحتمل نزقك بعد اليوم.[1]

(يبدو شبح يتخبط في الظلام).

يتبن هنا الفعل الكلامي (احذر) فعل الأمر و الإخبار حي أنه فعل إنجازي يتجسد في كونه يحمل دلالة التحذير و النصح من المذبحة التي قام بها دقيانوس.

حيث أن "مرنوش" يحذر"مشلينا"على أن المذبحة مازالت قائمة و لا يدري إن خرج ما سوف يحدث له أن فعل التحذير يحمل دلالات مختلفة منها الخوف والنصح و التحذير و الرعب و النهي لأن المذبحة هي التي جعلت الفتية يهربون و يخافون على أنفسهم و هروبهم إلى الكهف الرقيم هو خوفهم و لهذا نتبين هنا الهروب هو الذي جعل حياتهم تختلف و مازالوا يؤمنون بتلك المذبحة و بالملك دقيانوس و حياتهم الماضية و لا يدرون أن حياتهم اختلفت و تمازج فيها مستقبل جديد مع حاضر مات حث رآهم سوف تختلف على ما هم معتقدون به داخل الكهف و تمنون الموت قبل

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص15

رؤية تلك الحياة التي سيبحثون عن حياتهم الضائعة فيها.

وجاء في المقطع التالي:

يمليخا: ما كدت أسير خطوتين حتى رأيت أمامي فارسا يلبس لباسا غريبا وكأنه صياد فأبرزت له مما معي من فضة عارضا عليه شراء بعض صيده فما تبين حتى كأنه امتلأ رعبا و لكن فرسه يريد الركض فأمسكت بزمام الدابة و أوقفت الرجل و أنا ألوح له بالنقود.[1]

يتبين لدينا أن الفعل الكلامي (تكلم) هو الأمر جاء يحمل فعل إنجازي هو الإخبار عما يدور في ذهن المتكلم لكي يخبر به المتلقي و ذلك أنه أمره بالتكلم و التحدث.

نلاحظ هنا أن "مرنوش" بأمر "يمليخا" بأن يخبرهم عما رأى وسمع خارج الكهف عند ذهابه لإحضار الطعام حيث أنه حدث معه أمر عجيب و غريب في أنه رأى صياد مألوف لديه ليس متعود على رؤيته و ذلك بأنه رفض أن يقبل منه النقود و كذلك أنه اخبرهم أن لباسه و مظهره مختلف ما جعل الصاد يفزع من يمليخا و يهم على الفرار بفرسه لأن الصياد خاف منه و هذا ما جعل "يمليخا" لا يصدق ما حدث معه لأنه في تردد و لأن ما حدث شيء لا يصدق و لا يؤمن به و لهذا قام بالرجوع إلى الكهف و إخبار أصدقائه عما حدث، و هنا الفعل جاء إلى المستقبل القريب الذي قام به "يمليخا".

يبين في مقطع آخر الأمر على النحو التالي:

بريسكا: ما هذا الضجيج؟

الملك: انظر ياغاليس ما الخبر؟ (غالياس يخرج سريعا ملبيا).

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص40

بريسكا: (للملك) أبت أو لم تر مع حقيقة إنزال هاته المخلوقات القصر؟[1]

يتبين هنا أن الفعل الكلام (انظر) هو الأمر جاء بانجاز فعل أمر به الملك إلى "غالياس" للقيام به و هو النظر في أمر الضجيج الذي يحل في الخارج.

نلاحظ هنا أن الفعل الكلامي يتجسد في جملة فعلية هي الأمر و يتجسد فيها فعل دلالي و الإخبار حيث أن الفعل الإنجاز يحمل دلالة أنه فعل حرفي متمثل في الامر مع معناه الإخباري عن الأمر الحاصل في الخارج وهنا يتبين لدينا أن الضجيج الحاصل هو من الناس الذن أتو بالفتية لرؤية الملك الذي هم خائفون منهم وغالياس ذهب لإلقاء نظرة على ذلك الأمر حيث أنه في حالة أمر و استطلاع و المجيء بالأمر و بالخبر و توصيله إلى الملك الذي ينتظر ذلك هو و ابنته الخائفة من تلك

المخلوقات التي ظهرت في المدينة و هي تترجى في أبيها بعدم إدخاله لهذه المخلوقات و عدم رؤيته لهم.

النـهي:

هو صيغة دالة على المنع من الفعل على جهة الاستعلاء و المقود منه هو طلب ترك الفعل و عدم التلبس به.

مرنوش: حقيقة! قرب السماء من الأرض!

تلك الرحمة التي لا تعسف إلا من يستطيع الانتظار!

يمليخا: لا تسخر....إن الله حق...

مرنوش: لا شأن لله بنا هنا.[1]

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص60

2- م ن ، ص 23

يتبين هنا أن الفعل الكلامي (لا تسخر) أنها جملة فعلية تحمل صيغة النهي و ذلك من خلال النصح و الإرشاد، حيث يبرز لدينا هنا فعل إنجاز يتشكل فيها فعل لغو مباشر و يتمثل في النهي على السخرية بالله لأن الله على حق و رحمة واسعة وتسعف كل إنسان مؤمن بالله و عدم السخرية به حيث أن "مرنوش" يعلم أن الإيمان بالله و الصبر على محنه يمهلنا رحمة واسعة و يعطينا ما نريد في حياتنا بالدعاء إلى الله و التحلي به.

تبين في الفعل الكلامي (لا تسخر) النهي و ذلك من خلال القرائن النبوية "لا" الناهية و الفعل (تسخر) حيث أن الفعل هنا جاء لتبيين نصائح إلى "مرنوش" الذي لا يؤمن كثيرا بالله و برحمته التي تسعف عباده حيث أنه لا يعلم أن الله معنا في كل مكان و زمان وهو يستجيب لنا في إذ دعيا إليه لأنه قريب من عباده وهو ميسر أمورنا و عالم بها و لهذا "يمليخا" يطلب منه عدم السخرية لأن الله حق على عباده، و مرنوش لا يعلم أن الله قريب منه وهو في جسده و هو الذي يحي و يميت لهذا فقدرة الله واسعة، و علينا الإيمان به في كل شيء يقدمه لنا.

و في مقطع آخر نلاحظ:

مشلينيا:

ترى ألبثنا أسبوعا و نحن لا نشعر!

مرنوش: (يتلمس رأسه)صدقتكما ! أنا أيضا لا أحسني جئت لكهف بهذا الشعر كله في رأسي و لحيتي، هذا عجيب! انظر يا مشلينا لو كنت تبصر في الظلام.[1]

الفعل الكلامي (لا نشعر) يتجسد في جملة فعلية النهي و ذلك أنها تتشكل من فعل إنجازي متمثل في النهي و فعل مستلزم هو التمييز عن الحالة النفسية التي بداخل"مشلينيا".

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص41

نلاحظ أن فعل النهي جاء من طرف "مشلينيا" الذي لا يشعر أنه لبث في الكهف طوال تلك المدة

الزمنية المتمثلة في (أسبوع) حيث أنهم لبثوا أسبوعا دون أن يعلم ما حصل معهم، حيث أن مظهرهم عند استيقاظهم عكس مظهرهم عندما ناموا و لهذا كان في الأمر تعجب و هذا ما جعل الفعل في إنجاز النهي و عدم الإيمان بأنهم لبثوا طوال تلك المدة دون علم منهم و لا يعلمون ماذا حل لهم طوال تلك المدة.

4- الاستفهام:

بعد الاستفهام من أحد الأساليب الإنشائية، و هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوم من قبل و من ذلك ما ظهر في المقطع التالي:

يمليخا: أرأيت؟ إنك لم تفهم شيئا مما حولك، لأن بيننا و بينهم ثلاثمائة عام !

مرنوش: ثلاثمائة عام؟!

يمليخا: نعم....

مرنوش: ما تقول يا يمليخا لا يمكن أن يتخيله عقل بشر، و إني لأتسامح إذ أعدك بعد عاقلا، و أنت تقول جادا هذا الكلام، أستطيع حقا أن تعتقد أننا في الكهف أكثر من ثلاث ليالي.[1]

الفعل الكلامي (أرأيت)هو جملة فعلية بالاستفهام حيث يتمثل الحوار هنا في فعل لغوي مباشرا متمثل في الاستفهام و ذلك بتطابق قوته الإنجازية مع المتمثلة في فعل السؤال الذي نستدل عليه بحرف الاستفهام " الهمزة" و علامة الاستفهام(؟) حيث أن الهمزة في هذا السياق جاءت للاحتجاج (فعل لغوي غير مباشر)يتمثل في الإخبار و التعليم.

نلاحظ هنا أن "مرنوش" معترض على الفرق الذي بينه و بين الناس الذين رآهم حيث أنه لا

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص80

يصدق ذلك و هو محتج عليه لأن "يملخا" يخبره بفارق المدة الزمنية بين الملك و غالياس وبين "مرنوش" و هي ثلاثمائة عام ناموها الفتية في الكهف دون أن يحس بذلك و لا يعلمون عنها شيء حيث أنهم لم يسمع هذا الأمر من قبل حتى أن عقل البشر لا يمكن أن يقبل ذلك أن الإنسان يمكن أن ينام أكثر من ثلاث ليال و ليس ثلاثمائة عام فهو أمر مستحيل و غير ممكن و معقول.

و قد يرد لنا في هذا المقطع:

يمليخا: غني أؤمن بالمسيح لأنه حق، و لا يمكن أن تكون هذه قد بذلت أرواحها و سفكت دماءها من أجل شيء غير الحق.

مشلينا: أولدت مسيحيا، أم اعتنقت الدين على كبر؟

يمليخا: بل ولدت مسيحيا.....

مشلينيا: مثلي إذن.[1]

الفعل الكلام (أولدت) هو جملة فعلية مكونة من الفعل أولدت و الفاعل ضمير مستتر تقديره (يمليخا) جملة تحمل فعل حرفي يتمثل في الاستفهام مع فعل

استلزامي متمثل في التمييز و التخيير بين أمرين و التقرير و اتخاذ الجواب الصحيح للإجابة على المطلوب.

حيث أن الحوار بدأ بالإيمان بالمسيح لأنه هو الذي خلق البشرية (الله)، و ذلك لأن الدين دين التوحيد و الإيمان ولذلك طلب "مشلينيا" من "يمليخا" أن يعرف إن كان مسيحيا منذ الولادة أو اعتنقه عن كبر و هنا ما جعل الفعل (ولدت) يضع القرار(التقرير) و ذلك بحسم الأمر بالإجابة و بيان العلم بشيء كان يجهله "مشلينيا" و كان يرد أن يعلم به لأن المسيح هو دينهم الأعلى و المعظم و هو الذي يبين لهم الحق من الباطل. و يحميهم من كل الأوثان و الظلمات و هذا ما جعل

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص25

يمليخا يزيد إيمانه بالمسيح عندما سمع الراهب يتحدث عن المسيح و بين له المنظر الجمال زاد إيمانه بالمسيح و جعله بين له الحق، حيث أن البشرية سفكت دماءها من أجل الحق الذي ضاع في عهدهم الظالم الذي لا يعرف إلا الظلم و الجهل.

و يرد الاستفهام بأنواع مختلفة و منها ما يرد في المقطع التالي:

مشلينيا: أعترف أنك عرضت نفسك للخطر من أجلي حقيقة.

مرنوش: و إذن، أفلا تسمح لي ببعض التبرم و البريء في ساعة ضيقي!

مشلينا: و أنا؟ متى كفرت بك؟

مرنوش: إن الحب ليبتلع كل شيء حتى الصداقة و حتى الإيمان.[1]

يتمثل هنا الفعل الكلام (كفرت) في جملة فعلية الاستفهام يتجسد في الفعل الحرفي الاستفهام و الفعل الانجازي الإخبار، حيث أن "مشلينيا" يريد أن يعرف الزمان و المكان الذي كفر فيه لأنه لا يعلم ذلك لأن الحب الذي منه لمرنوش جعله يعرض نفسه للخطر من أجله، حيث أن الحوار ابتدأ بالتضحية التي بدلها "مرنوش" من أجل مشلينيا و بعد تناول قضية الكفر الذي لا يعرف متى صارت له حيث أن حبه جعله لا يعلم بكل شيء سواء أنه أحب "بريسكا" و أصبح لا يؤمن إلا بها و بحبها الذي تناديه هي به.

و يتبين في المقطع التالي:

غالياس: (يتقدم متشجعا إلى مرنوش) أيها القديس! إنا نعرف أين بيتك ...لكن نسألك ضارعين ألا تفارقنا إليه الساعة.

مرنوش: (دهشا) تعرف أين بيتي!

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص35

غالياس: (يلتفت إلى الملك في شيء من الزهو كأنما استطاع أخيرا أن يتصل بالقديس) نعم ! و هل يجهل مثلي مكانه؟

مرنوش: (متعجبا)عجبا! و كيف استطعت أنت أن تعرف مكنه، ولم أبح قط بسر بيتي لغير الأخصاء!؟

غالياس: أو لست من الأخصاء يا صفي الله و أنا الذي أبيض شعره في ذكركم.[1]

الفعل الكلام(استطعت) جاء في الجملة الفعلية الاستفهامية التي تتبين من القرائن النبوية(كيف) و علامة الاستفهام (؟) حيث أن الفعل الانجازي يحمل دلالة الفعل الحرفي الاستفهام و الفعل المستلزم معرفة المجهول الإخبار.

تبين لدينا أن الحوار باكتشاف السر الذي يخفيه "مرنوش" المتمثل في سر بيته الذي لا يعلمه إلا الأخصاء حيث أنه مخفيه لكن غالياس لا يريد أن يذهب إليه لأن بيته تهدم و أصبح رمادا و الشيء الذي حير"مرنوش" هو كيف أنه يعرف بيته و هو لم يعلمه به لهذا هو يطلب منه أن يخبره كيف عرفه، حيث أن "مرنوش" متعجب ومتحير في كشف سره. حيث أن الأخصاء هم الفتية الذين كانوا في الكهف، و غالياس يعلم قصتهم وذلك من خلال الأساطير التي كتبت عنهم، وأنهم اقتربوا على النسيان لولا أن الله أراد بمشيئته أن يرجع الأرض و يوقظهم من نومهم العميق لكي يتعرف عليهم في عصر ناموا فيه أكثر من ثلاثمائة عام.

ورد في المقطع التالي:

مشلينيا: ما الذي حيرك من أمرنا؟

يمليخا: دقيانوس عدو المسيحية، ما كان يعلم أن وزيريه مسيحيان !

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص74

مرنوش: (في اندفاع مقصود) و هو لا يعلم ذلك أن ابنته مسيحية هذا الأمر يذبح المسيحيين.[1]

الفعل الكلامي (حيرك) جاء في الجملة الاسمية الاستفهامية حيث يتجسد هنا فعل حرفي متمثل في الاستفهام مع معناه الاستفسار الذي يبين لنا هنا الحوار أن الفعل اللغوي المباشر (الاستفهام) تطابقت فيه القوة الاستفهامية بـ "ما" و علامة الاستفهام"؟" غير أن الفعل هنا فعل إنجازي متمثل في الإخبار و التعجب.

يبين لنا الحوار أن الملك "دقيانوس" صاحب المذبحة يجهل أن وزيريه مسيحيان حيث أنه لو كان يعلم لقتلهم و كذلك لا يعلم أن ابنته "بريسكا" مسيحية و هذا ما جعل "مشلينيا" في حيرة من أمره ، حيث لو انكشف سره لأصبح من عداد الأموات و هنا نتبين أن الأمر يدل على عدم المعرفة و إخفاء السر عن الملك لكي لا ينكشف أمره حتى ابنته التي اعتنقت المسيحية لا يعلم بأنها مؤمنة بالمسيح و إلا لقتلها فهي اعتنقت المسيحية من أجل "مشلينيا" حبيبها الذي هو مؤمن بالمسيح لأنه صاحب حق، و دقيانوس عدو المسيحية لا يعترف بالمسيحية، و لهذا هم أخفوا الأمر عنهم و المذبحة التي قام بها الملك هي ضد المسيحيين لأنه من اعتنق دين المسيح قتله الملك و هذا ما جعل الفتية يهرعون إلى الكهف من كثرة الخوف على حياتهم.

يظهر في هذا المقطع الموالي:

مشلينيا: (يتمطى آه) ظهري يؤلمني !كم لبثنا يا مرنوش؟

مرنوش: أف! إنك تحرج صدري بأسئلتك!

مشلينيا: أنا كذلك لم تعلم ضيق الصدر مثلك! مرنوش كم لبثنا ها هنا؟

مرنوش: يوما أو بعض يوم.[2]

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص18

2- م ن ، ص 13.

الفعل الكلامي (لبثنا) جاء في جملة إنشائية لها صيغة الاستفهام حيث أن الفعل الانجازي يتكل من

الفعل الحرفي هو الاستفهام و يتطابق مع الفعل الاستلزامي المتمثل في الاستفسار عن المدة الزمنية، حيث أن الفعل الكلامي جاء على شكل استفهام و ذلك بعلامة الاستفهام (؟) والقرائن النبوية (كم) حث أن السياق يطابق المقام و ذلك بالاستفسار و التحري عن المدة، حيث أن "مشلينا" ضاق صدره في الكهف و يريد أن يعلم و يستخبر المدة الزمنية التي قضاها في الكهف، حيث أن الفعل الدلالي يتمثل في استيقاظ الفتية من نومهم الطويل الذي دام ثلاثمائة عام و الاستفسار عن مدة بقائهم نيام في الكهف الذين تخبؤا فيه من المذبحة حيث أنهم حددوا مدة نومهم بيوم أو بعض يوم.

5- التمنـــي:

هو طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيد، أو امتناع أمر مكروه، و نتبين ذلك من خلال المقطع التالي:

مشلينيا: (مستذكرا في فرح) نعم إني لن أنسى تلك الليلة التي طالما حدثتك عنها، ليلة كانت في ثياب بيضاء تخطر في بهو الأعمدة حي موعدنا بعد سكون القصر.لقد قلت لها وقتئذ في غير حذر (أنك ملم من ملائكة السماء)؟ فنظرت إلي دهشة و سألت عن معنى الملك، فقلت لها في ارتباك هو اسم في المسيحية لمخلوقات أسمى و ألطف من مخلوقات الأرض، ثم صمت لحظة و قلت لها مموها: " ليتني كنت مسيحيا" فقالت: "لماذا"؟ قلت: حتى أستطيع أن أكون خطيبك أمام الله و أن يكون بيننا عقد مقدس لا يستطيع أحدنا الحنث به، فقالت: أهذا في المسيحية؟ و صمتت لحظة ثم قالت في سذاجة و حياء: " ليتني أنا أيضا كنت مسيحية"

مرنوش: وبعدئذ بقليل كنت ببابي كالمجنون فرحا.[1]

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص37.

الفعل الكلامي(ليتني كنت) جملة اسمية تحمل التمني حيث أن الفعل الانجازي تجسد في فعل حرفي هو التمني و الفعل المستلزم هو التحسر و الندم، حيث أن

الفعل الكلامي مدلول عليه بحرف القرائن النبوة وهي لفظ (ليت) و هو فعل مباشر والفعل غير المباشر المتمثل في التحسر و الندم.

نلاحظ من هذا الحوار أن " مشلينيا" في عملة استذكار للماضي من خلال الحاضر حيث أنه يتحدث عن أحلامه و حديثه مع حبيبته في البهو و هما يتمنيان إن كانوا مسيحيين لكي تكون بينهم علاقة زوجية، حيث أن التمني حصل في لحظة استذكار و هو حلم، و مشلينيا بدرجة حبهم أصبحوا يتمنون لو أنهم يفعلوا أي شيء لكي يجمعهم رابط الزواج لكي لا يفرق، حيث أن لقاءهم في بهو الأعمدة طال كثيرا و أصبح هو مركزهم الموعود بهم أن أراد اللقاء و التحدث مع بعضهم.

و في مقطع آخر نتبين أن الأفعال الكلامية قد تجيء على أفعال تحمل دلالات مختلفة مثل: القسم، الوعد، الشكر...

يرد في المقطع التالي:

الأميرة: أترى هذا العراف قد صدق؟ أو تراني أشبها حقيقة؟ إني لا أكاد أعرف شيئا يا غالياس. و أنت لا تريد أن تطلعني على تاريخها. ما أقساك ! إنك لا تحس مبلغ رغبتي في معرفة تلك التي يزعمون أني أشبهها... !

غالياس: أقسم بالمسيح يا مولاتي أني أطلعتك على كل ما أعرف عن تاريخها و كل ما وصل إلى علمنا من عهدها، ألم أقل لك إنها كانت مسيحية شديدة الإيمان بالله و المسيح في عصر كانت المسيحية مضطهدة مغلوبة [1]

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص49.

الفعل الكلامي (أقسم) هو جملة الفعلية التي تتجسد فيها فعل إنجازي متمثل في الفعل الحرفي خبري مع معناه وهو الفعل المستلزم المتمثل في التعهد و القسم لتأكيد الأمر في ذهن المتلقي حيث أنها مبنية على فعل مباشر (التعهد) وفعل غير مباشر(الخبر)

نلاحظ في هذا الحوار أن القسم أو التعهد هو لتأكيد الكلام في ذهن المتلقي، حيث أن "غالياس" قام بالحلف على المسيح لكي يؤكد أنه أخبر الأميرة بكل شيء يعرفه

عن الفتية التي كتبتهم للأساطير في كتبهم وعن ما قاله العراف في أمر أنها تشبه الملكة بريسكا جدتها غير أنها تختلف عنها في عقليتها حيث أن الأميرة كانت شديدة الإيمان بالله و أنها لم تتزوج مطلقا وذلك لاعتناقها دين المسيحية وحبها " مشلينيا " جعلها تفي بوعدها وتؤمن برجوعها إليه مهما بعدت المسافة حيث أنها ماتت عذراء وأخفت دينها عن أبيها لأنها كانت اعتنقت دين المسيحية من أجل " مشلينيا ".

و في المقطع التالي نتبين:

مشلينيا : نعم إنه جنون أن أشك في بريسكا، في أفقد وعيي كلما خطر لي إذن فلأطرد من رأسي كل فكرة من شأنها أن ..... نعم فلنترك هذا الموضوع إلى الأبد .... ولنتكلم في شيء آخر .... أعدك يا بريسكا وعدا صادقا أني لن أجن بعد الآن، فهل تصفحين عني ؟ (بريسكا)؟ هل تنصحينني عفوك ؟ أجيبي

بريسكا : (بغير انتباه) نعم ....[1]

الفعل الكلامي(أعدك) جملة فعلية يتجسد فيها الفعل الانجازي متمثل في الفعل الحرفي هو الخبر مع معناه المتمثل في الفعل الملتزم المتمثل في التعهد و الوعد.

حيث أن الملاحظ هنا أن "مشلينا" مازال يعتقد أن بريسكا هي حبيبته الحقيقية التي فقدها عندما ذهب إلى الكهف هروبا من المذبحة و لهذا هو في هذا الحوار يطلب منها الصفح و العفو و يطلب

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص125.

منها أن تنسى كل شيء بدر منها أن تصفح عنه لأنه سوف ينسى كل أمر قام بإزعاجها.

و في المقطع التالي:

مرنوش: (في تهكم خفيف) المؤمنين أشكرك يا يمليخا؟

أظن أن لولا وجودك معنا ما كانت إرادة الله و المسيح شاءت لنا أية أعجوبة.

مشلينيا: (ناهضا فجأة) مرنوش[1].

الفعل الكلامي (أشكرك) جاء في الجملة الفعلية الخبرية، حيث أن الفعل الانجازي يتجسد في الفعل الحرف الخبري والفعل المستلزم السلوك.

نلاحظ أن الحوار هنا يتبين في الشكر الذي قدمه "مرنوش" إلى "يمليخا" لأنه هو الذي نجاهم من المذبحة التي قامت في المدينة وذلك لأن "دقيانوس" قام بقتل كل الناس الذين اعتنقوا المسيحية و يؤمنون بها حيث أن "يمليخا" هو الذي نجاهم منها و أخذهم إلى الكهف ليختبئوا فيه حتى تفوت تلك المذبحة لكن الأمر عكس ما توقع حيث ناموا مدة طويلة و لبثوا في الكهف مدة ثلاثمائة عام.

1- توفيق الحكيم، مسرحية أهل الكهف، ص43.

خاتمـــــة:

اهتمت التداولية في دراستها باستعمال اللغة أثناء الاستعمال، وبطرق استخدام العلامة اللغوية بنجاح، و بالسياق الذي يندرج منه الخطاب، و اهتمت كذلك بالعملية التبليغية التواصلية، و يقوم المذهب اللساني التداولي على مجموعة من المبادئ و النظريات لعل أهمها نظرية الأفعال الكلامية التي تعد النواة المركزية لكثير من البحوث التداولية، و تهتم هذه النظرية بما يفعله المتكلمون باللغة من انجاز و تأثير و تبليغ، و بمراعاة السياق و الغرض الذي يريده المتكلم من كلامه و الفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب.

و في ضوء ما سبق يمكن أن أشير إلى أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث في النقاط التالية:

1 - دراسة التداولية أثناء الاستعمال دون إهمال المعنى السياقي الذي حددته و التركيز على عناصر العملية التبليغية.

2- إن العلماء العرب بلاغيون و نحويون وأصليون و فقهاء، و بحكم طبيعة النصوص التي كانوا يدرسونها اهتموا اهتماما كبيرا بدراسة صيغ الأساليب الكلامية و المعاني المتفرعة عنها، و حاولوا تمييزها عن بعضها البعض وفقا لمعايير أقل ما يقال عنها أنها معايير تداولية بحتة، فكانت دراساتهم و تحليلاتهم اللغوية تقوم على أهم المبادئ التداولية التي أسس عليها التداوليين المعاصرون الاتجاه التداولي.

3- عدت صيغ الكلام الحقيقية سواء أكانت أمرا نهائيا أم استفهاما صيغا أصلية حقيقية أو كما يسميها التداوليين المعاصرون أفعالا كلامية حقيقية.

4- تواصل " أوستين" إلى نتيجة مفادها أنه لا ينبغي الاهتمام بالتمييز بين الخبر و الإنشاء ما دام كلاهما يعمل فعلا كلاميا انجازيا.

5- تعد الأفعال الكلامية المتضمنة في القول النواة المركزية لنظرية الأفعال الكلامية.

6- إن التعديلات التي قام بها "بيرل " على الأفكار التي طرحها أستاذه "أوستين" فيما يتعلق بالفعل الكلامي تركز في مجملها على الفعل الكلامي غير المباشر و هو الفعل الذي شكل مرحلة مهمة من مراحل بحث هذا الفيلسوف حيث يوضح من خلاله كيفية انتقال الدلالة من مجرد كونها دلالة حرفية (مباشرة) إلى دلالة مستلزمه (غير مباشرة، تفهم عن طريق استقصاء المقام الذي وردت فيه).

7- جمعت مسرحية "أهل الكهف " مجموعة من الأفعال الكلامية، وتراوح أسلوبها بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الإنشائي.

وفي الأخير لا أدعي الإلمام و الإحاطة بكل الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع ويبقى المجال مفتوحا دائما و الأفق فيه أوسع لمن أراد التغلغل في حيثيات هذا المنهج المتشعبة و المتداخلة فيما بينها.

وختام القول أن الحمد لله رب العالمين.

قائمــة المصـادر و المـراجع

1- القرآن الكريم:

سورة البقرة،الآية 228

2- المراجع العربية:

1. الجلالي (دلاش)،مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر:محمد يحيا،دوان المطبوعات الجامعية،ابن عكنون،الجزائر،1986
2. الرويلي (ميجان) والبازعي (سعد)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2002،3
3. الخطيب (القزويني)،الإيضاح في علوم البلاغة،تعليق محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط3،ج1
4. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000
5. أحمد (ابن فارس) ، الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، مصر، 1910
6. أرمينيكو (فرانسواز)، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانتماء العرقي، الرباط، ط1، 1986
7. أحمد (متوكل)، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط
8. توفيق(الحكيم)،أهل الكهف، دار مصر للطباعة
9. حسن (يوسفي)، المسرح و مفارقاته، مطبعة سندي،1996
10. خليفة (بوجادي)، اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2008
11. خولة (طالب الابراهيمي)، مبادىء في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط،2000
12. سيرا (قاسم) و حامد (أبو زيد)، مدخل إلى السيميوطيقا، العلامات في المسرح،دار إلياي العصرية،القاهرة،1986
13. طه (عبد الرحمان)، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،دار البيضاء، المغرب، (بيروت،لبنان)، ط1

14. عمر (بلخير)،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف،الجزائر،ط 1، 2003
15. عبد السلام (محمد هارون)،الأساليب الإنشائية في النحو العربي،مكتبة الكاتبي القاهرة،ط1981،3.
16. عبد العتيق (عزيز)،علم المعاني،دار الآفاق العربية،القاهرة،مصر،د.ط،2004.
17. عبد العزيز (أبو سريع ياسين)،الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية،مطبعة السعادة،سلطنة عمان،ط1989،1
18. عبد القادر (عبد الجليل)، المعجم الوظيفي لمقياس الادوات النحوية الصرفية، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006
19. عبد الهادي (ابن ظافر الشهري)، إستراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004
20. علي (آيت أوشان)،السياق و النص الشعري،من البنية إلى القراءة،دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،ط2000،1
21. عبد الحق (صلاح إسماعيل)،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت،لبنان،ط1993،1
22. فان (دايك)، النص و السياق،تر: عبد القادر قينيني،أفريقيا الشرق، د. ط، 2000
23. فان (دايك)، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بجيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001
24. مقبول (إدريس)، التداولية عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، 2004، ع3
25. مسعود (صحراوي)، التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2005
26. محمود(أحمد نحلة)،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية،2006
27. نصيرة (غماري)،نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة و الأدب الجزائرالعاصمة،ع:17،جانفي 2006

28. نعيمة (الزهري)، الأمر و النهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة (الرباط)، د.ط،1997
29. يحي(بعيطيش)،نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة،إشراف:عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري(قسنطينة)2005-2006

3- المراجع الأجنبية:

1- Anne Ubersfeld, lire le théâtre, Messidor/ éditions sociales, paris 1982
2- John.R.searle, les actes de langages, essai de philosophie de langage, hernann, paris, 1972
3- Kerbrat- Orecchioni- Catherine, pour une approche pragmatique du dialogue
1. théâtral, in pratiques, n41,mars 1984
4- Petit.jean, André, La conversation au théâtre, in pratiques N41, mars 1984

لمحة عن صاحب المسرحية:

يعد "توفيق الحكيم" أحد العلامات البارزة في حياتنا الأدبية والفكرية والقافية في العالم العربي، إذا التأريخ لحياته هو تاريخ حقيقي لحركة المسرح والأدب المسرحي في مصر.

ولد توفيق إسماعيل الحكيم بضاحية الرمل بمدينة الإسكندرية عام (1316هـ - 1898م) غير أن هناك تصريحات أخرى تفيد بأن الكاتب من مواليد1902م أو 1889م ويذهب الدكتور " حلمي بدير " صاحب كتاب" فن المسرح " إلى تكذيب هذا الأخير بقوله: " صرح توفيق الحكيم بأكثر من تاريخ لمولده ... مرة سنة 1902 و مرة سنة 1898 و أخيرا لصلاح منتصر في أحاديثه بالأهرام وهو على فراش المرض أنه من مواليد سنة 1889... و أنا لا أصدق التاريخ لأنه يعني أن الحكيم مع ثورة 1919 كان قد بلغ الثلاثين من عمره في حين أن " محسن عودة الروح " كان طالبا في ثانوي مع ثورة 1919، كما أنه لا يمكن أن يكون توفق الحكيم قد بدأ الكتابة المسرحة وهو في الرابعة والثلاثين على شغفه المبكر بالمسرح، إذ أن مسرحيته الأولى كانت قبل المرأة الجديدة التي ألفها سنة 1923".

وترجع جذور أسرته إلى قرية " الدلنجات " بالقرب من " إيتاي البارود" بمحافظة" البحيرة "وقد عاش في جو مترف، حيث حرصت أمه على أن يأخذ الطابع الارستقراطي لأنها ابنة لأحد الضباط الأتراك المتقاعدين .

في هذا الجو تعلقه نفسه بالفنون الجميلة وخاصة الموسيقى، وأحب القراءة وبخاصة الأدب والشعر والتاريخ، وقد انتقل إلى القاهرة ليعيش مع أعمامه ويلتحق بمدرسة " محمد علي " الثانوية، وذلك بعد أن أتم تعليمه الابتدائي بمدرسة دكتور " تمنهور" الابتدائية سنة 1915 .(1)

وقد تزامنت فترة انتقاله إلى القاهرة ومكوثه هناك واشتعال الثورة الشعبية المصرية سنة 1919م،

1- حلمي بدير، فن المسرح، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1،2003 ، ص49.

فأنظم إليها مع أعمامه وجموع المسلمين المصريين وقبض عليه بتهمة التآمر على الحكم.

و بعد ما هدأت الأحداث و شرع في إطلاق سراح المعتقلين كان " الحكيم " من الأوائل الذين أفرج عليهم و أعمامه، ليعود بعدها إلي دراسته وينال إجازة البكالوريا سنة 1925، وبالرغم من ميول الحكيم الأدبية إلا أنه اتجه لدراسة الحقوق نزولا عند رغبة أبيه ليتخرج من كلية الحقوق سنة 1929.

ولأجل استكمال دراسته العليا في القانون سافر إلى فرنسا، وهناك اتجه إلى الأدب المسرحي و القصصي، منصرفا عن دراسته حيث كان تردده على المسارح الفرنسية و دار الأوبرا بمثابة التربة الخصبة التي نمت عليها ميوله الأدبية القديمة.

و بعد ثلاث سنوات من هذه السفرة عاد إلى مصر ليلتحق بسلك القضاء في وظيفة وكيل نيابة التي اقتضت تنقله بين قرى مصر وأحيائها (أو مدن مصر و قراها) و هو الشيء الذي ساعد في نضج كتاباته المسرحية و الروائية كونه كان على مقربة من الواقع المصري الشيء الذي انعكس على كتاباته مخرجا لنا ما يسمى " مسرح المجتمع " حيث بلغ تأليفه في هذا الميدان ما يقارب واحدا و عشرين مسرحية.

و قد اقترن اسم " الحكيم " بالكتابة الروائية و المسرحية، و أبدع في الاثنين معا فضلا عن تأليفه مجموعة من الكتب مثل: " تأملات في السياسة " سنة 1954، " فن الأدب " سنة 1952، عصا الحكيم في الدنيا و الأخيرة سنة 1954.

الجانبين الروائي و المسرحي فقد ألف فيهما روايات و مسرحيات مجرد ذكر أسماء بعض منها يوحي إلى صاحبها فمن الأولى نجد: " يوميات نائب في الأرياف سنة 1937، و عودة الروح سنة 1933، و عصفور من الشرق سنة 1937، و كذا الرباط المقدس سنة 1944 وغيرها كثيرة.

و من الثانية نجد: " أهل الكهف سنة 1933"، و الأيدي الناعمة 1954، و أشواك السلام سنة 1966.....الخ.

و تتنوع دراسة إنتاج " الحكيم " بتنوع نوعية الفن الذي نعرض له منه، و إن كان البعض يفضل " الحكيم " روائيا عن الحكيم مسرحيا و على رأسهم الدكتور:

"حلمي بدير" بحجة أن الرواية أقرب إلى روح الأفراد و التعبير عن واقعهم الاجتماعي، كما أن رقعة الحرية التعبيرية تتسع على مستوى الكتابة الروائية عنها على مستوى الكتابة المسرحية.

فإننا نجد " توفيق الحكيم " قد تألق و اشتهر ككاتب مسرحي أيضا، خاصة في مسرحية

" أهل الكهف" و التي مزج فيها بين الرمزية و الواقعية على نحو فريد يتميز بالحياز والعمق دون غموض أو تعقيد، كما أنه و بفضل هذه المسرحية عد صاحب أول مسرحية عربية ناضجة بالمعيار النقدي الحديث.

و يمكننا القول بأن " الحكيم" روائيا لا يقل عن الحكيم مسرحيا، فقد تفوق في المجالين معا و زادت أهميته بكونه أول مؤلف إبداعي، استلهم أعماله المسرحية و الروائية موضوعات مستمدة من التراث المصري.

و قد تبنى "الحكيم " عددا من القضايا القومية و الاجتماعية وحرص على تجسيدها في كتاباته، حيث اهتم بتنمية الشعور الوطني، و نشر العدل الاجتماعي و مناهضة كل أشكال الظلم، داعيا إلى ترسيخ الديمقراطية، و تأكيد مبدأ الحرية و المساواة، فلا يكاد القارئ يتصفح صفحة من رواياته أو مسرحياته و لا يجد فيها دعوته إلى نبذ الظلم و مناصرة الحرية.

و فضلا عن هذا كله فقد تقلد "الحكيم" العديد من المناصب، حيث عمل مديرا لدار الكتب المصرية، و عين مندوبا دائما لمصرفي منظمة اليونسكو، و كان رئيسا لإتحاد كتاب مصر، كما نال عددا من الجوائز، و الأوسمة منها جائزة الدولة التقديرية للأدب، و قلادة النيل و قلادة الجمهورية.

و توفي " الحكيم " في (29 من ذي الحجة 1407 ه- 27 من يوليو 1987 م) عن عمر بلغ التسعين عاما تاركا ثروة هائلة من الكتب و المسرحيات التي بلغت نحو 100 مسرحية و 62 كتابا.

التعريف بمسرحية " أهل الكهف" " لتوفيق الحكيم":

أهل الكهف هي مسرحية لتوفيق الحكيم التي نشرت عام 1933، و هي مسرحية ذهنية حيث طبعت هذه المسرحية مرتين في عامها الأول كما ترجمت إلى الفرنسية و الإيطالية و الإنجليزية، حيث أن المسرح القومي قد افتتح بها نشاطه المسرحي، فكانت أول العروض المسرحية المعروضة فيه هي " أهل الكهف" و كان ذلك عام 1935، و كان مخرجها الفنان الكبير " زكي طلمات" و لكن للأسف كان الفشل حليفها، و اصطدم الجميع بذلك حتى الأستاذ توفيق الحكيم نفسه، الذي عد السبب في ذلك أنها كتبت فكريا و مخاطبة للذهن و لا يصلح أن تعرض عمليا.

إن محور هذه المسرحية يدور حول الإنسان مع الزمن و صراع بين الإنسان و الزمن يتمثل في ثلاثة من البشر يبعثون إلى الحياة بعد نوم يستغرق أكثر من ثلاثة قرون ليجدوا أنفسهم في زمن غير الزمن الذي عاشوا فيه من قبل، و كانت لكل منهم علاقات و صلات اجتماعية تربطهم بالناس و الحياة، تلك العلاقات و الصلات التي كان كلا منهم يرى فيها معنى حياته و جوهرها. و في حينها و عندما يستيقظون مرة أخرى يسعى كل منهم ليعيش و يعيد هذه العلاقات الحياتية، لكنهم سرعان ما يدركون بأن هذه العلاقات قد انقضت بمضي الزمن، الأمر الذي يجعلهم يحسون بالوحدة و الغربة في عالم جديد لم يعد عالمهم القديم.

و مسرحية أهل الكهف من نتاج الحكيم و هو في ريعان شبابه، كتبها في خريف 1928 بمقهى صغير بضاحية الرمل بالإسكندرية، و يظهر أن مشكلة الزمن و الموت و الحياة و البعث و النشور كانت تلح على ذهنه فكانت هذه المحاولة الأولى في معالجة مشكلة الزمن و صراع الإنسان معه.

و مسرحية أهل الكهف أول عمل فني يكتبه " توفيق" باللغة الفصحى، و طبيعة المسرحية و الشخصيات و الفكرة التي يريد علاجها جعلته يعمد إلى البساطة مع فصاحة الكلمات و صحة الأسلوب، و لكنك تشعر عند قراءتها باهتمام الحكيم بالمعنى أكثر من اهتمامه بالصياغة و مسرحية أهل الكهف من نوع مسرح ذهني.

ملخـــص مسرحية " أهل الكهف":

تبدأ مسرحية " أهل الكهف" في " الرقيم" حيث الظلام لا يتبن فيه الإنسان غير أطياف ثلاثة: وزيران من وزراء الطاغية " ديقيانوس" الذي أقام مذبحة

هائلة للمسيحيين في عصره، و الوزيران من المؤمنين بالمسيحية الهاربين من وجه الطاغية. وقد اختار لهما الحكيم اسمين هما "مشلينيا" و" مرنوش" أما الشخصية الثالثة فهي: الراعي " يمليخا" و كلبه قمطير، و كان ثالثهم من أبناء معركة المسيحية الأولى، و استغرق وجودهم في الكهف ثلاثة مائة عام، ثم استيقظوا بمعجزة خارقة وشعرهم و أظافرهم طويلة بفعل تأثير الزمن دون أن يمس أعمارهم و أحاسيسهم وانفعالاتهم.

وتأخذ المسرحية في الحركة خارج إذ ذهب يمليخا لإحضار الطعام من المدينة، و في طريقه التقى بفارس فأبرز له يمليخا ما معه من نقود عارضا عليه شراء بعض صيده، و عندما أخذها الصياد تعجب من كونها تعود إلى عصر دقيانوس و ظن الراعي الغريب المنظر قد عثر على كنز تركه الفارس مستغربا و عاد يمليخا إلى صاحبيه ليقص عليهما ما وقع له.

لكن بمجرد عودته سمع أناس يسيرون في أعقابه إذ أثار منظره و نقوده فضول الفارس و السكان.و هنا تحدث حركة مادية نفسية يختم بها الفصل اختتاما مؤثرا من الناحية الدرامية، إذ لا تمضي لحظة حتى يشع داخل الكهف ضوء ثم يشتد اللغط و يدخل الناس هاجمين على الكهف و في أيديهم المشاعل، و لكن لا يكاد أول الداخلين يتبين في ضوء المشاعل منظر الثلاثة حتى يمتلئ رعبا ويتقهقر و خلفه بقية الناس في هلع، و هم يصيحون صيحة مكتومة: أشباح؟ موتى؟

فأهل الكهف يجهلون أنهم مكثوا في الكهف سنوات طوالا نائمين في مغارتهم و اكتشافهم الحقيقة.

وأما الفصل الثاني تجري وقائعه في قصر الملك المسيحي حيث يظهر "غالياس" مؤدب الأميرة"بريسكا" ليخبرها أن كنزا من عهد "دقيانوس" قد وجد مدفونا في كهف بوادي "الرقيم". وطلبت منه الأميرة أن يذكرها بقصة جدتها القديسة بريسكا التي عاشت في نفس الفترة منذ ثلاثة قرون، و تحمل نفس اسمها و كانت تخفي دينها المسيحي عن أبيها الملك الوثني، كما أخبر "غالياس" الملك نبأ المخلوقات المفزعة الهيئة التي تعيش في كهف و شعرهم و أظافرهم طويلة، و ملابسهم غريبة و ذكره أنهم الشهداء الذين هربوا بدينهم من "دقيانوس"، و قد تنبأت الكتب القديمة بظهورهم من جديد.

و بعد لحظة جاء رهط من الناس بأصحاب الكهف إلى القصر و فور دخولهم صاح" مشلينيا" لم يتغير شيء يا يمليخا، هاهو ذا بهو الأعمدة كما تركناه أمس.

فكل منهم يربطه بالحياة الجديدة شأن خاص، فهذا "مرنوش" يبحث عن زوجته و ابنه، و هدية يحرص على تقديمها لابنه كما وعده، وهذا "مشلينيا" تربطه علاقة حب بخطيبته"بريسكا" ابنة "دقيانوس" و هذا "يمليخا" تربطه بالحياة غنم ترعى الكلأ في مكان لا يعرفه إلا هو وكلب يحرس غنمه.

وبعد ذهاب "يمليخا" إلى المدينة ليستطلع الأمر و يتفقد غنمه، سرعان ما يعود إلى القصر ليخبر صاحبيه أن كل شيء قد تغير و أن هذا العصر غير عصرهم، ويفضل العودة وحيدا إلى الكهف من جديد لآن هذا العالم ليس عالمهم، وأنهم أشباح موتى لا أصل لهم في الحياة، و الكهف هو ما يملكون من مقر في هذا الوجود، و يرفض "مرنوش" و"مشلينيا" حتى هذه اللحظة من الأحداث أن يعود إلى الكهف فمشلينيا مصر على مقابلة "بريسكا" و "مرنوش" مصر على الذهاب لابنه وزوجته، فهما حسب تعبير "يمليخا" أعميان لا يبصران أعماهما الحب.

و الفصل الثالث فيه: بعد قضاء ليلة في القصر بقي "مشلينيا" يتشبث ببهو الأعمدة ينتظر عشيقته" بريسكا" ابنة "دقيانوس" وهو يعتقد أن الملك المسيحي الذي وجده في القصر قد قتل "دقيانوس" و جلس على العرش مكانه، و نصب نفسه قيما على "بريسكا" أما "مرنوش" فسرعان ما عاد قافلا إلى القصر ليخبر "مشلينيا" بالحقيقة المروعة التي اكتشفها، وهي أن زوجته و ولده قد ماتا منذ ثلاثة مائة عام، فقد توفي ولده شيخا هرما في سن الستين، مات قبل أن يفرح بهديته التي كان يحملها اليه، و اقتنع في آخر المطاف أن لا شيء أصبح يربطه بهذا العلم، فهذا العالم مخيف، وهذه الحياة المرعبة لا مكان له فيها و يعود إلى الكهف ليلتحق بـ " يمليخا" أما "مشلينيا" فقد أصر على البقاء في القصر حتى يقابل عشيقته"بريسكا"، رغم اطلاعه على الحقيقة و هي أن "بريسكا"التي كان يعرفها قد ماتت منذ ثلاث مائة سنة، وأن التي يظنها " بريسكا" ليست إلا شبيهة بها فقد بقي متمسكا بموقفه و تعلق بهذا الوهم بعض الوقت، و لم يسارع إلى العودة إلى الكهف كما فعل صاحباه، و حاول بكل قوة أن يستميل إليه "بريسكا" ابنة الملك المسيحي يذكرها بأشياء لا تعرفها ، و بوعود لم تسمع بها، و يسترسل في مغازلة "بريسكا" الجديدة يحسبها حبيبته القديمة، ثم تبين له أنها حفيدة حبيبته و يتحول

من الوهم و الخيال إلى الحقيقة ويدرك هو الآخر أن قلبه لم يعد هنا، و أنه لا يصلح للحياة في هذا العصر، فقد فات زمانه و تبدد الوهم و خضع للأمر الواقع، وقرر إيثار الموت على الحياة كما فعل صاحباه فعاد هو الآخر إلى الكهف.

و أما الفصل الأخير فترتبط أحداثه بأحداث الفصل الأول، تبدأ بلحظة استيقاظ الفتية و هم يشعرون بالتعب و الاختناق، ويتذكرون الأحداث التي جرت لهم، و يتساءلون: أهم يعيشون في الحقيقة أم في الحلم، و يستحضرون كل الأحداث التي مرت بهم منذ خروجهم من الكهف إلى عودتهم إليه، و اختلط عليهم الأمر، إلا أنهم يستسلمون للواقع، و يقتنع " يمليخا" أنه لا يستطيع استئناف الحياة في هذا الواقع الجديد، فيستسلم للموت، و يتبعه في ذلك "مرنوش" الذي كفر بكل شيء حتى بالبعث فمات هو الآخر، أما "مشلينيا" فظل مترددا في أمره بسبب حبه "بريسكا " الشبيهة بحبيبته، و بهذا ارتبط بالحياة من جديد. و تحبه كذلك "برسكا" بنت الملك المسيحي و تأتي إليه في الكهف بعد أن تكون قد تيقنت من موته، و لم تشأ المجيء إليه و هو على قيد الحياة لأنها مقتنعة باستحالة هذا الحب، و محال أن يجمعهما في هذا العالم و أصرت أن تأت إلى الكهف لتموت بجانبه، و يموت "مشلينيا" مؤمنا لأن قلبه يحب، و تنتهي المأساة بقيام الرهبان صحبة الملك بشعائر دينية لتوديع أصحاب الكهف و بذلك يغلق الكهف بعد أن التحقت بهم "بريسكا" بعد شهر من الزمن.

ملخــص:

حيث تجدر الإشارة إلى أن تيار التداولية انبثق من رحم الفلسفة التحليلية التي تعد الحضن الأول الذي برز فيه مجموعة من ابرز واهم المفاهيم والنظريات التداولية، نحو نظرية الأفعال الكلامية، حيث تعد هذه النظرية النواة المركزية للمنهج التداولي وخاصة في مرحلتيها الأساسيتين مرحلة التأسييس عند أوستين ومرحلة النضج والضبط المنهجي عند تلميذه سيرل وفحواها أن كل قول هو فعل يتحقق وينجز في الواقع بمجرد التلفظ به، وتقوم هذه النظرية على مبدأ القصدية ، ويتجلى هذا المبدأ في الربط بين التراكيب اللغوية وضرورة مراعاة غرض المتكلم ومقصده من الخطاب أثناء العملية التبليغية التواصلية.

وقد بدت ملامح الدرس التداولي ومبادئه واضحة المعالم في الدراسات اللغوية العربية القديمة حيث اهتم علماؤنا الإجلاء على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية بدراسة النصوص –سواء أكانت نصوص شعرية أم نثرية- دراسة اقل ما يقال عنها إنها ذات أبعاد تداولية .

بعد هذا البسط المبدئي يمكن القول أن نظرية الأفعال الكلامية تهتم بدراسة المعنى وربطه بالساق الذي ورد فيه كما تهتم بعناصر العملية التواصلية أثناء الكلام مع مراعاة طرفي الحديث (متكلم سامع) ومنزلة كل منهما والظروف المحيطة بالعملية التبليغية. وتحقيقا لهذه الرؤية يأتي هذا البحث استجابة فعلية لمنجزات نظرية الأفعال الكلامية والياتها الإجرائية وذلك من خلال الوقوف على مرتكزاتها المنهجية القائمة على تصور فلسفي يعيد الاعتبار للنظريات السياقية ودورها في تحقيق التواصل والتأثير المتبادل بين المشاركين في الحديث أثناء التبليغ.ثم إن نتيجة الفصل الأول بينت العلاقة بين التداولية وصلتها بالمسرح وخاصة دور الأفعال الكلامية في النتيجة التي حققتها بمجرد التلفظ بملفوظ ما.أما ما نستنتجه من الفصل الثاني أن الأفعال الكلامية لهل قوتين انجازيتين تتمثل في القوة الانجازية الحرفية التي لها علاقة بالقرائن وقوة انجازية مستلزمة يمكن استقراؤها من سياق المقام حيث جاءت مسرحية "أهل الكهف" أنموذجا لمثل هده الأفعال حيث انه حملت الأفعال الوصفية (الخبرية) و الأفعال الكلامية الأدائية (الانجازية).
والمسرحة بمجملها تمثل لنا بنية خطابة تبليغية.

Résumer :

La philosophie analytique est le couvent des plus importantes théories de la pragmatique telle la théorie des actes de parole, qui fut d'ailleurs le noyau principale de ce courant et ceci tout au long de son élaboration : pendant la période d'institution avec **(AUSTIN)** jusqu'à sa venu à maturité sous la responsabilité de son élève **(SEARL)** .
Cette théorie avance que toute parole prononcée constitue un acte à part entière, et repose sur le principe d'intentionnalité, un principe qui relate la jonction entre différents contextes et oblige la détermination du vouloir dire de l'orateur lors de son discours.

On trouve clairement les traces du courant pragmatique dans les études linguistiques classiques arabes, car nos grands penseurs, quelque soit leurs idéologies ont traité différents écrits (poème ou autres...) d'une manière clairement pragmatique.

Après cette brève définition, on peut dire que la théorie des actes de parole étudie toute signification en relation avec son contexte. Elle s'intéresse aussi aux éléments de communication dans les propos, tenant compte des deux interlocuteurs (émetteur /récepteur) ainsi que leurs rangs sociaux respectifs sans oublier les conditions psychiques, sociologiques, culturelles et autres cernant cette communication.

Ce travail tente de venir à bout d'une étude pragmatique en respectant les mécanismes de la théorie des actes de parole et insistant sur les principes du contexte et leur rôle dans l'interaction entre les interlocuteurs. .il résulte du premier chapitre le pragmatique sont relation avec le théâtre. Quand au deuxième chapitre les actes des paroles différents

deux force illocutoires une force illocutoire directe qu'on peut comprendre du contexte de situation et le théâtre de « homme des cavernes » sont partagés entre constructifs et déclaratifs. Le théâtre sont structure de discours et communication.